Looloo
www.dvd4arab.com

حديقة الجثث

حسن الحلبى

تاكسى

مشروع القرن الثقافى
روايات مصرية للجيب
فى كل رواية متعة دائمة

2

مقدمة

إن كانت هـــذه هى المرة الثانية لك معى ؛ فأنت تعرفنى من لقائنا السابق حتمًا ، وتعـــرف أننى (سامر رمضان) ، سائق تاكسى حاليًا ، وخبيـــر فى الأمور التقنية والإلكترونية سابقًا ، وعملت مع المخابرات العامة لمدة عامين بدلاً من السجن ؛ لما سببته من دمار بعدد هائل من أجهزة الكمبيوتر حول العالم ، ذات مرّة ..

إن كانت هذه هى المـــرة الثانية لك معى ؛ فأنت تعلم أننى متزوج ، وأن اســـم زوجتى (ديالا) ، وأن ابنى (كريم) فى الصف الأول الابتدائى ، وأن لى جارًا صحفيًا اسمه (يوسف) ، وأننى تعرفت بطريقة غريبة نوعًا ما على رائد الشرطة (منذر خليل) ، الذى يريد أن يكون مهمًا بأى شكل ، وعلى (ديمترى) عالِم الفيزياء الكيميائية الذى يعشق (البـــوم) ، المتثائب طوال الوقت ، وعلى (همام خميس) الممرض الذى يقول بيتين من الشعر كل دقيقتين ..

Looloo
www.dvd4arab.com

إن كانت هذه هى المرة الثانية لك معى ؛ فأنت تعلم أننى قدمت استقالتى من المخابرات العامة ، وتفرغت للعمل كسائق تاكسى ، بعد أن أصبت بثلاث رصاصات فى صدرى بسبب أحد عملياتى القديمة ، وبعد أن شعرت بالملل الشديد من كل تلك الأمور التى أشعر أنها مناسبة للأفلام أكثر من الواقع ؛ فأنا أكره المطاردات والرصاص ورجال العصابات وقضايا القتل والاغتيال ، وما شابهها من أمور لم تعد تثير حماستى ..

إن كانت هذه هى المرة الثانية لك معى ؛ فأنت تعلم أننى نلت إعجاب (ديمترى) و(منذر) ، وأنهما أخبرانى أننى ــ ربما ــ سأعمل معهما فى أية قضايا لهم ، بشرط أن تكون ذات علاقة حقيقية بما أعرف .. سأعمل معهما بصورة غير رسمية بالطبع ، فأنا سعيد بحياتى ، والتاكسى يكفى معيشتى وزيادة ، ولا أريد أن أضع نفسى فى دائرة الخطر من جديد ؛ كما كنتُ قبلاً ..

أمَّا إن كانت هذه هى المرة الأولى لك معى ؛ فأنصحك بمراجعة السطور آنفة الذكر ، أو الكتيب السابق !

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

1 ـ يوم عادى ..

عندما أجوع ، لا أستطيع كبح جماح نفسى ..

أمدّ يدى نحــو صحن الحمص الشــامى الذى أمامى ، أتناول لقمة صغيرة نوعًا ما وأضعها فى فم (كريم) ..

يضحك ، يقبل يدى .. أتناول قطعة (مرتديلا) وأضعها فى فمى ، بينما تنظر (ديالا) وتقول :

ــ لماذا تصبح حنونًا هكذا يوم الجمعة ؟!

أنظر لها دون أن أجيب ، أمدُّ يــدى وأضــع فى فمها قطعة (مرتديلا) ، تبعد رأسها وهى تضحك ، أمسكها برفق وأضع قطعة المرتديلا رغم أنفها فى فمها !

نضحك جميعًا ..

ــ لأنه يوم جمعة .. هذا أجمل يوم فى الأسبوع بالنسبة لى ..

أقولها وأنظر لها ، أرفع حاجبى الأيمن وأقول :

ــ .. لحظة ؛ هل يعنى هذا أننى لست حنونًا بقية الأيام ؟!

تبتسم وهى تحتسى شيئًا من الشاى :

ــ لم أقل هذا .. الأمر فقط أن حنانك يزيد هذا اليوم بشكل أكبر .. لا أدرى ، ربما لأنه أكثــر يوم تقضــيه بيننا .. لا تذهب اليوم إلى العمل ..

يهتف (كريم) :

ــ نعم بابا ، لا تذهب اليوم .. دعنا نذهب إلى غابة ما ، أو حديقة معينة .. خذنا رحلة !

أبتسم وأربت على كتفه ، أنظر لــ (ديالا) وأقول بخبث مبعدًا عينى عن عينيها :

ــ أى عمل فيهما تقصدين ؟!

تعقد حاجبيها وتقول وهى تضع كوب الشاى جانبًا :

ــ التاكسى بالطبع .. ولا تقل لى شيئًا عن عمل المخابرات ذاك أرجوك .. ناقشنا هذه القضية من قبل ، كدت تموت مرّة .. لا أريد أن أكون أرملة فى هذا العمر ..

ــ لكن الأمر ليس خطيرًا !

Looloo
www.dvd4arab.com

أقولها دون أن أنظر لها ؛ أيضًا ..

المشكلة أن الحق معها ، كدت أموت ذات مرّة .. حتى فى المرة السابقة كذلك ، حين اختطفنى ذلك الباب الغامض[1] ، لولا أننى احترست وتزودت باختراع لى فى أحشائى ..

هذا ما أنقذنى ، وهى تعلم أنهم ــ هُناك ــ فى المخابرات العامة قاموا بتوبيخى بعنف شديد ، للطريقة العنيفة التى استخدمتها للتخلص منه ؛ لكنها كانت الطريقة الوحيدة المضمونة ، ولهذا لم أخبر أيًّا من (ديمترى) و(منذر) عنها ..

إذ ــ وكما فعلتُ سابقًا ــ قامت (السيدة) ، وهى تلك الشريحة الصغيرة التى تسع مليار تيرابايت ــ وهو رقم مذهــل سيجعلُ أى خبير حاســوب يُجنّ ، وأى شركة فى التقنيات والإلكترونيات تفعل كل شىء من أجل الحصول عليه ــ بتدمير آلاف الأجهزة الإلكترونية !

إننى لا أتعلّم ؛ هذه مشكلة حقيقية ..

تقــول لى وهى تنظر فى عينى مباشرة ، وتضغط على كل حرف من حروف كلماتها :

(1) لتفاصيل أكثر ؛ راجع (الذين جاءوا) ، الرواية رقم 1 ..

ــ (سامر) .. الأمر خطير وأنت تدرك هذا ، نحن أسرة جميلة ونعيش بخيــر .. التاكسى يؤمّن لنــا كــل ما نريد ، وخصوصًا لأنه ملكنا ، ولأن هذا البيت لنا كذلك ..

ــ لا تنس أن هذا البيت لنا بسبب عملى السابق ، المكافآت التى كنت آخذها وأضعها فى البنك آتت أكلها ، لقد اشترينا البيت والسيارة منــذ سنين .. صدقينى ؛ لن يكون الأمر خطيرًا .. سأكون كأننى فى جولة معتادة بالتاكسى ..

تقول وهى تتأفف ، وتنهض :

ــ أف ! لا أدرى ما الذى يعجبك فيه على أى حال !

أستطيع تفهم قلقها .. زوجة تعرف أن زوجها يملك إمكانيات هائلة ، وأنه خبير إلكترونيات فذ ، لكنها لا تريد له أن يعمل مع المخابرات ؛ وهو لا يريد أن يعمل إلاّ سائق تاكسى ؛ إنه مأزق ..

مأزق حقيقى !

ينهض (كريم) ، أنهض بدورى .. شبعتُ وزيادة والحمد لله ، رغم أن هــذه أول قاعدة يخالفنى فيها كل خبراء التنحيف فى العالم : لا تأكل بعد أن تشبع !

Looloo www.dvd4arab.com

يمرّ الوقت سريعًا علينا فى غرفة الجلوس ، (ديالا) تحدثنى عن صديقتها اللطيفة (سهير) .. هذا وصفها هى ، وليس وصفى أنا بالطبع .. بالنسبة لى فليس هناك إلاّ (ديالا) ، هى اللطيفة الجميلة فحسب ..

(كريم) يخبرنى عن هجوم أحـد الأطفـال عليه بالأمس ، وكيف أنه باغته وضربه من الخلف ..

أنظر له مؤنبًا وأخبره أن عليه أن يهاجمه من الأمام فى المرّة القادمة ! تعاتبنى (ديالا) لكننى أقـول لها إن عالمنا ملىء بالذئاب .. عليه أن يكون ذئبًا وإلاّ التهمه من حوله دون أن يشعر ، يجب أن ينتبه لنفسه جيدًا ..

يمرّ الوقت سريعًا ؛ إلى أن يأتى أوان الوضوء ، والذهاب إلى المسجد ..

نتجه إليه أنا و(كريم) وقد ارتدى كل منا الثوب العربى : الدشداش وغطاء الرأس .. يوم الجمعة خاص بالنسبة لى ؛ يستحق زيًّا خاصًّا على الأقل ؛ بجانب العبادات ..

* * *

بعـد الصلاة والتسـوق فى السوبر ماركت ثم العـودة إلى البيت ؛ لم نتناقش أنا و(ديالا) فى الموضوع مرّة أخرى .. هذا أسلوبها معى ، تقول ما عندها وتنصحنى بما فيه خير العائلة كلها ، بعدها سيكون عَلَىّ أن أقرر بنفسى ..

حسنًا ، سأفعل الصواب ..

أغير ملابسى ، أرتدى قميصًا خفيفًا وبنطال كتان أسود ، مع حذائى الرياضى الأبيض ، وأتجه إلى الباب ..

ــ إلى أين ؟!

تقولها لى مطلة برأسها من آخر الممرّ ، ألتفت إليها وأجيب وأنا أفتح الباب :

ــ إلى العمل ..

تستند إلى الباب وهى تسأل :

ــ والغـداء ؟!

أنظر إلى ساعتى ، أقول وأنا أرفع عينى لها :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ سأعمل ساعتين فحسب ، لا أحب ترك التاكسى جالسًا دون عمل ، حتى لو كان هذا يوم راحة ..

ـ التاكسى أم (ديمترى) و(منذر) ؟!

أشعر جيدًا بالرائحة التى تفوح من كلماتها .. أبتسم وأقول ، مرسلاً إليها قبلة عبر الهواء :

ـ التاكسى .. واطمئنى فلم يتصلا بى منذ تلك الحادثة .. لقد مرّ أسبوعان كاملان .. إنها قضية واحدة فحسب ، لا أظن أنه سيكون هناك أخرى قبل وقت طويل ..

.. ولم أكن أعرف أننى كنت مخطئًا !

* * *

تقول لى السيدة منكوشة الشعر ، جاحظة العينين ، التى تمسك سيجارة بيدها اليسرى فى عصبية ؛ مستمرّة بشرح مشكلة زوجها الوغد لى :

ـ .. تخيل ! رغم هذا كله فهو مستمرّ بخيانتى .. تخليت عن أهلى لأجله ، تركت عملى كى يرضى ، لكنه يحب تكرار فعل الموبقات مع جميع من فى شركته .. الحقير ! الحقير !

هؤلاء النسوة يقدننى للجنون .. كل واحدة تركب معى تظننى طبيبها النفسى الخاص ، هل هذا يحدث مع كل سائقى التاكسى فى العالم ؟!

لحسن الحـظ كنا وصـلنا إلى وجهتها فى هـذه اللحظة .. أعطتنى الأجرة وهى ترغى وتزيد .. لكنها قالت قبل أن أذهب :

ـ .. بالمناسـبة ، لم أعـرف أننى سأصادف سائق تاكسى يحبّ أن يستمع لمعزوفات (شوبان) يوم الجمعة !

أضحك وأنطلق بالسيارة وأنا أضع الورقة المالية التى أعطتنى إياها فى محفظتى ؛ وأفكّر ..

لكل ورقة مالية قصة خاصة بها ، لكل ورقة مغامرات رهيبة ، لكل ورقة أمنية تتلخص بلسان تستطيع بواسطته أن تخبرنا عن الناس الذين كانت معهم ، والأشخاص الذين عرفتهم ، وطبقات البشـر الذين أهانوها ، أو أحبوها ، أو قبلوها ، أو أبغضوها ..

أمشى وأتوقف عند الإشارة الضوئية ، أتوقف قليلاً ، يزعجنى الشاب الذى بجانبى بهذه الموسيقى العنيفة التى تنطلق من سماعات سيارته .. ألا يعرف بأن حريته تنتهى عندما تبدأ حرية الآخرين ؟!

Looloo www.dvd4arab.com

أتحرك ، ويشير لى أحد الأشخاص فى الشارع بسبابته ؛ هذه الحركة المعروفة التى تعنى أنه يريد منى أن أقله ..

أتوقف بجانبه :

ـ إلى أين ؟!

ملامحه مخيفة !

هذا أول شىء خطر فى بالى ، لكن سرعان ما طردته ، ليس لملامح الشخص علاقة بما هو عليه .. ربما هو متعب أو مرهق .. لا يهمنى فى الحقيقة ..

بذلة رسمية سوداء ، حقيبة معدنية فضية ضخمة ، ملامح جادّة جدًّا ، لكنها مخيفة .. يقترب من النافذة ويقول :

ـ إلى مكان ما ..

أنظر إليه دون أن أجيب ، أخفض صوت المسجل وأسأله :

ـ وأين سيارتك ؟!

يبتسم بزاوية فمه وهو يفتح باب التاكسى ويدخل :

ـ كيف عرفت أن معى سيارة ؟!

أبتسم بدورى ، وأقول ببساطة وهو يغلق الباب :

ـ كل من يرتدى هذه الملابس ، وكل من يملك هذا النوع من الحقائب يكون معه سيارة .. لقد سئمت هذه الأمور !

أقولها وأنطلق بالسيارة ، بينما هو يشير إلى سيارة (تويوتا) حديثة متوقفة مقابل إحدى البنايات :

ـ تلك سيارتى ، لا أدرى ما بها لكنها تعطلت فجأة .. كان من المفروض ألاّ يحصل هذا لكنه حدث ..

لا أعلق ، أرفع صوت المسجّل قليلاً ، ثم أسأله :

ـ حسنًا ؛ إلى أين ؟!

يصمت لوهلة ، قبل أن يجيبنى بغموض :

ـ إلى أقدم مقبرة فى المدينة !

* * *

Looloo www.dvd4arab.com

2 ـ المقبــرة ..

قالها بغموض ، وإن كانت النبرة بريئة ..

لكن هناك شىء آخر ، من هذا الذى يذهب إلى المقبرة بهذه الملابس ، وهذه الحقيبة ؟!

هذا ليس من شأنى .. لعل هذه ملابسه وكفى ، لعل حبيبته ماتت واشتاق لها وهــو عائد إلى البيت ، ربما والده ميت وأراد الحصول على بعض البركة ، بعد الدعاء عند القبر ..

ـ هناك عدة مقابر قديمة .. أيها تريد ؟!

ـ الأقدم ..

يقولها بإصرار ، فأقول محاولاً التذكر :

ـ حسنًا ، أقــدم مقبــرة حسب علمى هى تلــك التى قرب المستشفى ، هناك فى طرف المدينة ، لكنها مغلقة .. هل لك أحد هناك ؟!

ـ أوصلنى فحسب ..

يقولها بابتسامة حاول أن يجعلها طبيعية .. لكن تلك الحاسة تحركت داخلى ، الحاسة التى كانت مدفونة وأعادها (منذر) و(عاشق البوم) ذاك قبل أسبوعين ؛ للعمل ..

أشعر بشىء غريب !

أقود السيارة بهدوء .. تزدحم الشوارع بالحمقى الذين يجعلونك تتساءل : من منحهم حق القيادة ؟! من أعطاهم الرخصة الرسمية لإثارة الجنون أينما كانوا ؟!

(شوبان) يبهرنى .. لا أحب الاستماع كثيــرًا للمذياع فإنه لا يمنحنى حرية الاختيار ، لهذا فإننى أضع ما أشاء من أغانٍ وموسيقى على الأقراص الليزرية ، وأسمع فى التاكسى ..

ـ ماذا فى الحقيبة ؟!

لا أدرى ما الذى جعلنى أسأل هذا السؤال بغتة .. ينظر لى بدهشة ويقبض على الحقيبة بيديه الاثنتين ، شعرت لوهلة أنه طفل صغير يقبض على دميته خوفًا من أن يمزّقها أحد الكبار !

ـ لا شىء ..

يقولها ببطء ، وأقول :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ فارغة ؟!

ــ ليست فارغة .. فيها أمر لا يعنيك ..

قالها بعدائية ، فعرفت أن هناك أمرًا ما بالفعل !

إحساسى لا يخطئ ، أدرك هذا جيدًا ، وأعرف أن الرجل يخفى شيئًا ما فى الحقيبة ..

هناك سرّ !

أتراه من (الياب) ؟!

أبتسم فى أعماقى .. كلاّ طبعًا ؛ فأولاً : هذا ملامحه عادية وجديّة وليس فيها وسامة ، ولا يشبه (الياب) إطلاقًا ..

كما أن (ياب 469) أخبرنى قبل أن أدمره ؛ عن كونه ــ هو ومن جاء معهم ــ الوحيدين الذين استطاعوا العبور بصعوبة ؛ فقط كى أفتـح بوابتهم ؛ وهى موقـع (الزهـرة الخضراء) الإلكترونى ؛ الذى دمرته تمامًا بعد انتهائى من تلكْ المواجهة ، ولم يعد له أى أثر الآن ..

لكن هناك سرّ !

ــ حسنًا ؛ كما تشاء يا صديقى ..

أقولها مبتسمًا وأقف جانبًا بالسيارة ، لقد وصلنا ..

يمدّ يده إلى جيبه ، يخرج ورقة مالية كبيرة ، يعطينى إياها :

ــ احتفظ بالباقى ..

يفتح باب التاكسى ، يخرج منه برشاقة ، يغلق الباب وهو يقول لى دون أن ينظر :

ــ شكرًا لك .. أعتذر إن كنت عصبيًّا ، ولكننى أكون حساسًا نوعًا ما فيما يتعلق بعملى ..

ــ أفهمك .. وأنا أيضًا مثلك ، أنا أقتل كل من يزعجنى أثناء تأديتى عملى ! حتى ابنى علمته هذا .. أخبرته أن يكون ذئبًا ، وأن يلتهم الجميع !

قلتها له بابتسامة باردة ، نظر لى فى عدم فهم ثم ضحك :

ــ أحب الذئاب !

قالها ومشى باتجاه باب المقبرة وهو ينظر لى بطرف عينه ..

يبدو عاديًّا ، يبدو بريئًا .. ماذا الآن ؟! هل سيبدأ جنون الارتياب

Looloo
www.dvd4arab.com

معى ؟! هل سيصبح كل شىء غامض قليلاً فى نظرى ؛ عُرضة للاتهام والشكوك ؟!

اللعنة يا (ديمترى) و(منذر) !

أبتعــد بالسيارة عنــه ، ناظرًا إليــه عن طريق المرآة التى أمامى ..

ماذا يفعل ؟!

لقد توقف ، لم يدخل المقبــرة وإنما استدار بوجهه نحــو سيارتى .. وأخــذ ينظر فى ترقب .. ما هذا ؟! هل يريد التأكد أننى غادرت ؟!

الفأر يتحرك فى صدرى ..

أدخل أول شــارع مقابل ، أدور دورة واسعة ، أكاد أصطدم بحافلة صغيرة لتحميل الركاب .. أضغط النفير بعنف وأتجه خلف المستشفى ..

أنا سائق تاكسى ، أعرف الطرق كلها ، هذا ما جعلنى أصل إلى نقطة ما هنا ، أرى فيها باب المقبرة وأرى الرجل ، بينما هو لا يستطيع رؤيتى ..

أطفئ السيارة وأنظر له مستندًا بذراعى على المقود .. ها هو يفتح الحقيبة ، لا أستطيع رؤية ما بداخلها من هذه المسافة ، لكنه يخرج منها جهازًا صغير الحجم ، يبدو مثل حاسوب محمول .. لا .. هو أقرب إلى (آى باد) ؛ هو شاشة فقط !

أو .. يبــدو أقــرب إلى جهاز تحديد الاتجاهات .. نعم .. أراه يحمل حقيبته بعد أن أغلقها ، ينظر إلى الشاشة ويمشى ، ينظر حوله ويمشى ، ينظر إلى الشاشة ويمشى .. إنه يستعين بهذا الجهاز للتوجه إلى حيثما يريد ..

.. يبدو أنه لا يقصد المقبرة بالضبط !

* * *

الرجل يمشى ..

لن أجعله يبتعد عن مجال رؤيتى ، سأشغل السيارة وأتبعه دون أن يدرى ويشعر ..

يتلفت حوله ، لا أحــد منتبه له عداى ، يسرع فى المشى وينظر إلى الشاشة ، أنا خلفه من بعيد .. أنا خلفه ..

Leeloo www.dvd4arab.com

أتوقف يمينًا محاولاً ألا أجلب أى أنظار لى ، لا أريد أن أكون مشبوهًا ، ولا أريده أن يغيب عن عينى .. أخفض رأسى على مستوى المقود ، أبتسم بسخرية غير مناسبة ، المقود الآن هو النسخة العصرية من الجريدة .. يعرف الكل أن العملاء السريين يستخدمون جريدة حين يلاحقون أحدهم ؛ جريدة مثقوبة طبعًا كى يستطيعوا النظر من خلالها !

لكننى لست عميلاً سريًا ، ولا ألاحق أحدهم الآن ، وهــذه ليست جريدة ، وأنا لست فى عمليّة ..

أنا إنسان فضولى للغاية !

يستمرّ الرجل بالمشى وأستمر خلفه ، أتبعه كما أنا من بعيد ، الشارع هادئ والناس قلة ، والحركة على باب المستشفى عاديّة ، هذا جيّد .. إننا لا نثير الشكوك ؛ لا أنا ولا هو ..

بغتة توقف ، نظر يمينًا ويسارًا ، مرت حافلة لجمع النفايات لحسن حظى ولم يرنى .. إنه يتجه إلى تلك الحديقة ..

اليوم الجمعة ، الحديقة مغلقة .. (حديقة المجد) كما أطلق عليها محافظ العاصمة قبـل عـدة سنوات ، عندما افتتحها فى ذكرى استقلال الوطن ..

يقترب من الباب ، يمسك القفل ويعبث به قليلاً .. ما هذا ؟! هل ينوى اقتحام الحديقة أم ماذا ؟!

يفتح الباب .. يتلفت يمينًا ويسارًا من جديد ، ثم يدخل ويغلق الباب خلفه .. الوغد ! هناك أمر كبير سيحصل الآن ..

أهبط من السيارة وأغلق الأبواب ، أركض سريعًا نحو الحديقة وأنا ألهث .. انقطاعى عن الرياضة سيئ ، ولا بد أن أعود لها كما كنت فى السابق ..

أصل إلى البــاب الضخم الذى فيــه الكثيــر من الأسطوانات الحديدية .. أنظر إلى القفل ، إنه مكسور !

كيف كسره ؟!

أنظر عبر الباب ، ومن خلال أعمدة الحديد .. إنه هناك ! يمشى بسرعة متجهًا إلى نهــاية الحديقــة ، لا يبدو أنه رآنى ولا أريده أن يرانى ..

أفتح الباب بهدوء وحذر وأدخل .. حمدًا لله ، ليس هناك أى صرير له ..

Looloo
www.dvd4arab.com

أدخل وأركض باتجاه السور الجانبى ، سأراقبه وأمشى معه ، ستحجب الأشجار أنظاره لى .. لا بد أن أكون حذرًا وألاّ أصدر صوتًا .. ستكون مشكلة ، كما أننى لا أدرى مدى خطره .. ولا أعرف إن كان خطرًا أصلاً !

أحث الخطى ، إنه يمشى ويتوقف قرب شجرة بعينها .. يبدو أنها الشجرة الأكبر عمرًا هنا ، أنها المعمرة ، جدة المكان ..

ينظر يمينًا ويسارًا ، أحبس أنفاسى رغـم أنه بعيـد ولن يسمعنى ، أنظر له عبر غصنى ليمون مثمرين .. إنه لا يرانى ، هذا مطمئن بالفعل ..

ينحنى ويضع الحقيبة الفضية على الأرض ، يفتحها ، يُخرج منها جهازًا غريب الشكل ، يبدو أنها شاشة ضخمة ، بحجم حاسوب محمول كبير الحجم ، وبها أزرار كثيرة ملونة ، ضغط أحدها ببطء ..

ما هذا ؟!

ينهض واقفًا ويرفع الجهاز بيديه الاثنتين ، يتحرك الجهاز فى يديه .. أحدّق فى دهشة دون أن أتحرك .. هل أهجم عليه ؟! لماذا أهاجمه أصلاً ؟! ماذا فعل حتى الآن ؟!

لكننى قلِق !

الجهاز يتحرك فى يديه ، يتحرك ، وبغتة تنطلق منه أشع
بنفسجية كثيفة ..

كثيفة ؟! نعم ، كثيفة .. هـذا أفضل وصف لها فى رأسى
تبدو مجمعة بكثافة ، كما أنها ليست مريحة على الإطلاق ..

الأشـعة موجهـة نحـو الشـجرة ، التى بدأت تتحـرك
أيضًا ، الأرض ذاتهـا بدأت بالتحـرك .. ما هـذا ؟! هـل
يتحرك العشب من حول الشجرة أيضًا ؟! هل هو يتطاير فعلاً كم
أرى ؟!

ما الذى يحدث ؟!

أنظر وأضع يدى على فمى .. أريد أن أباغته الآن ، أريد أن
أصرخ ، أريد أن أتصل بهما ؛ (ديمترى) و(منذر) ..

لماذا لم أتصل بهما حتى الآن ؟!

أتجاهل السؤال فور أن بدأ العشب بالتطاير أكثر ..

ربـاه !

Looloo
www.dvd4arab.com

أدركت ما يفعل ..

إنه يحفر الأرض بطريقته الخاصة ..

.. إنه يبحث عن شىء ما !

* * *

3 ـ المتحــول ..

مرت ثلاث دقائق كاملة ..

بالنسبة لى فقد مرّت كنهار كامل وأنا أنظر بصمت ، دون أن أفعل شيئًا ، ودون أن أتصل بأحد ..

مرّت كنهار كامل ، إلى أن توقف اهتزاز الأرض الخفيف ، الملحوظ بنفس الوقت ؛ ووضع الرجل الجهاز على الأرض ..

أنظر إليه .. ها هو يقف على رأس حفرة ضخمة ، تبدو بعمق مترين على الأقل ، ويبدو أن هناك شيئًا ما داخلها ..

ابتسامة الظفر فى وجهه تقول هذا !

هنا كان السيل قد بلغ الزبى ــ كما يقولون ــ عندى ..

لم أعد أحتمل أكثر ..

أنظر إليه ، آخذ شهيقًا عميقًا وأهمّ أن أهجم عليه ، لا أدرى إن كان هذا صحيحًا أم غبيًا ؛ لكننى سأفعله .. ليس معى أى

Looloo
www.dvd4arab.com

سلاح ، ولم أتزود بأى شىء معى فى جولة مع بعـد صلاة الجمعة المعتادة ، ولا أعلم إن كـان يملك سلاحًا هو بدوره ؛ لكننى سأقوم بهذا مهما كانت العواقب ..

أهمّ بأن أهجم عليه راكضًا وصارخًا ، ولكن قبل حدوث هذا بثوانٍ فقط ؛ سمعت الصوت :

ــ أنت ! ماذا تفعل عندك ؟!

أتوقف دفعة واحدة عن تنفيذ ما كان يدور فى رأسى ، أنظر إلى مصدر الصوت .. إنه حارس الحديقة .. كنت أتساءل داخلى أين ذهب ؟!

يقترب الحارس البدين ، ينظر فى شك نحو الرجل ، ينظر فى ذهول إلى الحفرة التى فى الأرض :

ــ .. ما هذا ؟! كيف استطعت أن تفعل هذا ؟! لم أغب سوى ثلث ساعة لتناول الغداء !

لهذا كان مختفيًا .. جميل .. الرجل ينظر نحوه دون أن يتكلم .. اللعنة ! ملامحه مخيفة بالفعل !

يبدو الخوف على الحارس ، لكنه يقترب وهو يقول ، محاولاً إخراج مسدسه من جرابه :

ــ .. أجبنى ، من أنت ؟! كيف استطعـ ...

لم يكمل عبارته ..

لم يكملها أبدًا ..

قاطعه الرّجل فجأة بآخر شىء كنت أتصور حدوثه فى حياتى كلها ؛ أمامى ..

لقد انحنى بغتة إلى الأمام ، على يديه ، وتحور جسده بسرعة مذهلة لم أتخيلها ، وانقلبت ملامحه ، وتغيّر شكله ، وانكمش جسده الطويل ، واختفت ملابسه ، وتحول إلى ذئب !

ذئب ؟!

ذئب ؛ أم مذؤوب ؟!

هل تخدعنى عيناى ؟!

هل أهلوس ؟!

Looloo
www.dvd4arab.com

هل الرجل البدين ذاك يهلوس أيضًا ؟!

لا .. الذئب يهجم عليه بالفعل ، الرجل يصرخ ، يتراجع إلى الخلف وهو يصرخ فى ذعر ، فى رعب ، فى هلع رهيب .. إنه يحاول أن يحمى وجهه بيديه ، لكن الذئب يقفز نحوه وأنا ما زلت صامتًا ، أنظر وجسدى يرتجف ، كل خلية منى تنتفض ، لا صوت لى ولا حركة لئلا يحدث لى ما يحدث للحارس ، الذى أخذ الذئب يمزقه الآن ..

دماء .. دماء ..

الأشلاء تتطاير ..

ما هذا بالضبط ؟!

أرفع هاتفى أخيرًا ، إنه على الوضع الصامت كما وضعته منذ أن دخلت إلى الحديقة ، أنظر إلى الشاشة وأضغط رقم (منذر) المحفوظ سلفًا ، وأتّصل به ..

أخفض الصوت ، وأنا أنظر إلى الذئب الذى انتهى من تمزيق الحارس .. أبتلع ريقى فى بطء ، أنفاسى متلاحقة ، أحاول أن أخفض الصوت قدر استطاعتى ..

ــ آلو .. (سامر) ؟!

صوت (منذر) المتفاجئ المندهش ، يبدو مستغربًا جدًّا ، يبدو رائعًا فى هذه اللحظة لى ..

أنظر إلى الذئب الذى نهض عن الجثة ، ومشى على أربع ، مبتعدًا عنها ، متجهًا إلى الحقيبة ، والجهاز ، والحفرة ..

أرفع الهاتف وأنا مرتجف نحــو فمى ، أهمس بصوت خافت مراقبًا الذئب :

ــ (منذر) .. لا وقت لدى ؛ أنا فى (حديقة المجد) ، أمامى ذئب قام بالتهام حارس الحديقة ، الآن !

انتهيت من العبــارة ليحصل ذاك الشىء من جديد ، ولكن بالعكس !

لقد استطال جسد الذئب ، تمدّد ، تضخّم ، ووقف على رجليه الخلفيتين بغتة كالبشر ، وظهرت نفس ملابسه ــ التى كان يرتديها قبل أن يتحــول ــ من اللامكان ، وتغيرت ملامحه وتفاصيله ، وعاد شكله خلال ثوانٍ قليلة فقط ؛ إلى ذات شكل الرجل الذى كان معى فى التاكسى ..

Looloo www.dvd4arab.com

الرجل الهادئ ذى الملامح المخيفة ، والبذلة السوداء الأنيقة !

يتجه إلى الحفرة ، يرمق الداخل بنظرة غريبة ، و(منذر) يقول لى بصوتٍ خافت :

ــ لا شك أنَّك جننت !

ــ اسمع أيها الوغد ، إنه أمامى ، وأنا خائف على حياتى !

يهمس :

ــ هاتفك مزوّد بكاميرا أمامية ، أليس كذلك ؟

أجيب :

ــ نعم ..

ــ حاول أن تلتقط صورة له وأن ترسلها لى ، سأحاول أن أستنتج وسيلة ما لفعل أى شىء .. هيا ، بسرعة ..

أقول بخفوت :

ــ شىء مثل ماذا ؟!

ــ اترك هذا لى .. أرسل الصورة فحسب !

أحـــاول السيطرة على أعصابى ، قلبى يدق بسرعـــة .. يجب ألا أكون خائفًا هكذا ولكن ما حصل قبل قليل غيـــر سهل ، جرب أن تحكيه لأحد وسينظر لك كما لو أنك مجنون .. فكيف بى وأنا عشته ؟!

أشهق وأزفر ، أوجه الهاتف نحوه وأضغط زرّ التصوير .. كليك صامتة ــ والحمد لله ، ومن ثم رأيت الصورة مطبوعة على الشاشة بوضوح ..

ــ (منذر) ، سأرسلها لك فورًا ..

أقولها وأبحث فى الأسماء بسرعة ، أجد اسمه وأضغط على زرّ الإرسال .. أنظر من جديد نحو ذلك الرجل الذئب ، أو الذئب الرجل ، ولكننى ..

.. لا أجده !

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

ينقبض قلبى ..

أين هو ؟!

لا شك أنه عرف أننى هنا .. لا بد أنه سمعنى ..

أتراجع بظهرى إلى الخلف ، أسمع زمجرة غريبة ، ألتفت خلفى بسرعة لأجده يقفز نحوى ويضرب صدرى بيديه ومخالبه بقوّة .. أسقط أرضًا وأنا أصرخ من الألم والذعر .. ضربته قوية بالفعل وأنا لم أعد رشيقًا .. أشعر أن عظامى كلها تئنّ ، جسدى كله يحسّ بالألم لأول مرة منذ زمن بعيد !

أرفع يدى الاثنتين بحركة لا شعورية وأحمى وجهى ، أنظر له وهو يقترب منى بهيئته الذئبية ، قبل أن يتحول من جديد إلى ذلك الشّكل !

ــ كيف ؟! من ؟!

عــدة كلمات تحــاول الخروج مــن فمى ولكننى لا أسيطر على لسانى .. أيها الوغد ! لمــاذا لا تستجيب لى عندما أريد منك هذا ؟!

ــ لم تستطع أن تتجاهل أمرى وكفى ، أليس كذلك ؟!

يقولها وهو ينظر لى ويقترب منى ، وقد وضع يديه الاثنتين خلف ظهره .. أنظر إليه ، ماذا يمكننى أن أقول ؟!

يردف :

ــ لم يكن بإمكانك أن تتركنى فى حال سبيلى ، أصررتَ على رؤيتى وتتبّعتنى .. بالمناسبة ؛ أنا أعرف أنك تلحق بى منذ أن نزلت من سيارتك الحمقاء !

ــ لقد قتلته !

أصرخ بها وأنا أشير إلى جثة الحارس .. هذا هو الشىء الوحيد الذى خطر فى بالى الآن ؛ جوابًا له !

ــ ماذا ؟!

ــ لقد قتلتَ الحارس أيها الوغد .. لماذا ؟!

يبتسم بهدوء .. مشكلتى أننى أكــره القتلة المبتسمين الذين يرون أن هذا النوع من الأسئلة مضحك !

ــ دعكَ منه واسمعنى الآن ..

Looloo
www.dvd4arab.com

أصمت ، وأنظر له ، وهو يقول :

ــ .. فى داخل هذه الحفرة عدة أشياء تعود لنا ، وكانت هذه الأشياء بمثابة خطة لا نريد استخدامها قبل وقت طويل ، ويبدو أن الوقت قد حان ..

ــ خطة من أجل ماذا ؟! ومن أنتم بالضبط ؟!

يتجاهل سؤالى ويكمل :

ــ .. كنت أعرف أنك خلفى ولهذا سمحتُ لك بأن تستمرّ بتتبعى لأن هذا ما أريده .. كنت أريدك أن تصل حتى هذه النقطة بمحض إرادتك ، ودون أن يجبرك أحد !

اللعين ! تراه يمزح ؟!

كلا ، لا أعتقد .. لم أقرأ أو أعرف يومًا أن الرجال الذئاب يحبّون المزاح .. إنهم عمليون جدًا ، جديون جدًا ، دمويون جدًا ؛ وهذا من أسباب تفوّقهم ..

ــ بمحض إرادتى ؟!

أسأله بفضول يخالطه الشك ، فيجيب :

ــ هذه هى القوانين ، لا بد أن تدخل هذه الحديقة بإرادتك ، ودون أن يجبرك أحد ، وهذا ما جعلتك تفعله ، وأنت تظنّ أنّك تتصرّف من تلقاء ذاتك ، لمجرد أنّك شككتَ بأمرى ..

عقلى يعمل كدوامة ، ماذا يريد منى ؟! وما علاقتى بأى مذؤوب على أى حال ؟! وأين (منذر) بالضبط ؟! ما الذى يفعله الآن ؟!

ــ .. لا تتحرك من هنا لئلا أمزقك ، المشكلة أننى أحتاجك حيًّا .. لا بد من أن أقوم بالمزج ما بينك وبين الأشياء التى فى هذه الحفرة ، بطريقتى الخاصة ، حتى يحصل ما نريد !

ــ ما الذى تريدونه ؟!

أهتف بها ويتجاهل سؤالى ، بابتسامته اللزجة ..

ــ .. ولماذا تحتاجنى حيًّا ؟!

Looloo
www.dvd4arab.com

يتجاهل سؤالى أيضًا ، أتمنى الآن لو أفصل رأسه عن جسده !

ـــ .. ما الأشياء التى فى الحفرة ؟!

يتجاهلنى مــن جديد .. لا بد أنه يعلم كم أنا مُستفَزّ الآن ! أشعر أنى قنبلة نووية على وشك الانفجار !

يقول لى محذرًا :

ـــ لا تتحرك ، أحتـــاج أن تكون حيًّا وأن تكون بوعيك .. لا تضطرنى لاستخدام العنف معك !

سأحاول أن أظل هادئًا ، وأدعو الله فى سرى أن ييسر شيئًا مع (منذر) .. أين (ديمترى) الآن ؟! ولماذا لم يخطر هو فى بالى قبل ذاك ؟! لا أعرف .. سأحاول الآن أن أضع كل تركيزى فى الأمر الذى يحدث معى ..

يتوجه المذؤوب نحو الحفرة ، ويهبط فيها ، وهذا بعد أن ألقى عَلَىّ المزيد من النظرات التى تحمل التهديد والوعيد ..

جســدى ما زال يؤلمنى ، لا شــك أنه ألقى بى عــدة أمتــار

فى الهواء قبل سقوطى .. ما القــوة التى عنــده ؟! هل من الذكاء ــ أصــلاً ــ أن أســأل عن قــوة مذؤوب ، ومتحول ؛ بنفس الوقت ؟!

أنظر حولى .. لا يوجد أى طريق للهروب .. أمامى جثة الحارس الممزق ، والمنطقة غارقة فى هدوء عجيب ، ولا يوجد أى أحد ..

يحيط بك الكثيرون أحيانًا وأنت لست بحاجة لهم ، وتريد أن تشعر بالحرية لوحــدك ولو قليلاً .. لكنّك أحيانًا وفى حالات الوحدة القاتلة ــ حرفيًّا لا مجازًا ــ كهذا الحال ؛ لا تجدهم .. أين هم ؟!

فى كل الجهات من حولى ، لا شىء سوى الأشجار والعشب ، وحتى لو تحاملت على نفسى ونهضت وهربت ، لن أكون أسرع منه ، وسيدركنى ، ويعلم الله وحده ما الذى يمكن أن يحصل بعد هذا ..

سيغضب جدًّا ، وسينتقم منى بالتأكيد !

Looloo
www.dvd4arab.com

أحاول أن أبقى تنفسى منتظمًا ، ثم أتذكر هاتفى فجأة .. أبحث عنه بعينى وأجده ملقى على بعد عدة أمتار .. أهمّ بالزحف نحوه قبل أن أسمع أجمل أصوات فى العالم ..

طائرات هليوكبتر ، سيارات جيب عسكرية ، سيارات شرطة تطلق أبواقها ، كل هذا انطلق بغتة فى صوت واحد وبطريقة مفاجئة مباغتة جعلتنى أنتفض أنا شخصيًا فى مكانى ..

ورأيت (منذر) و(ديمترى) !

كانا ــ الوغدان الجميلان ــ فى الطائرة الثانية وقد حملت ملامحهما كل القلق الذى فى الكون ــ ربما لأن هناك مذؤوبًا فى الحفرة المجاورة لى ــ ، وكل الاطمئنان الذى فى الأرض أيضًا ، ربما لأننى ما زلتُ حيًّا وأتنفس ، وأنظر لهما بابتسامة حملت ألف معنى ومعنى !

أنظـر لهما وهمـا يقتربان مع أرتال الجنـود هذه ، وأنظر نحـو الحفـرة فى خوف .. لعله الآن يخرج ويتخذنى رهينـة ، ولكن كيـف ؟! وهـل سيتغلب على كل هذا الجمع أم ماذا ؟!

يبدو أنه كان يفـكر معى ، ويبـدو أنه فكّر بسرعة فى أكثر الأمور التى ستساعده ، ويبدو أنه سيجيب عن سؤالى بأسرع الطرق العمليّة ..

فوجئنا جميعًا باندفاع ذلك الطائر من الحفرة ..

طائر غريب ، يكاد طوله لا يتجاوز المتر ، أسود اللون ويبدو مثل الخفاش ، لكنه حاد .. تبدو الحدة فى كل شىء فيه ، زوايا جسده وجناحيه ، أسلوب طيرانه ، شكل وجهه الذى لم أتبينه جيدًا بسبب السرعة !

اندفــع كالسـهم ــ بالضبط ــ خـارج الحفـرة وانطلق فى الهـواء بسرعـة خارقـة .. لمحناه فقـط ، كـل ما عرفنـاه أننـا لمحنـاه ، وأن البعـض حـاول أن يطلق بعض الرصاص عليـه لكن كـان من المستحيل إصـابته وهو بهـذه السرعة ، وهذا الحجم !

استطاع خداعنا جميعًا .. أليس متحولاً ؟!

Looloo
www.dvd4arab.com

يدبّ النشاط فى جســدى ، أحمل نفسى وأقف وأنا أرى الكل يندفع نحوى ، وعلى رأسهم (منذر) و(ديمترى) ..

يأخذانى بالأحضــان ، أتفاجأ بهبــوط (همام) من الطائرة أيضًا .. أهلاً بك أنت أيضًا أيها الشاعر !

أسأله ــ أولاً ــ وأنا أضحك :

ــ ماذا تفعل هنا ؟!

ــ اتصلا بى وأخبرانى بالموضــوع ، والتقطانى بالهليوكبتر من المستشفى ، دعنى أرى جرحك !

وبينما تركته يرى جرحى الذى سببه لى ذلك المتحول بمخالبه ، التفت إلى (منذر) وقلت له :

ــ كيف حددت مكانى ؟! وما كل هذا ؟!

أجاب (منذر) بابتسامة وهو يربت على كتف (ديمترى) :

ــ أولاً : أنــت قلت لى إنك فى (حديقــة المجــد) ، وتكفل (فابيو) بوصف المكان بدقة أكبــر للجنود والطائرات .. لقد

أخبرت (عاشق البوم) عن هــذا وأرسلت له الصورة ، ورآها (فابيو) مباشرة طبعًا كما تعرف !

أنظر إلى (ديمترى) :

ــ أين بومتك ؟!

ــ فى الشقة ..

أجابنى ، ثم أردف بعد أن تثاءب :

ــ .. دعنا نرى أولاً سبب هذه الفوضى كلها ..

قالها ثم اتجه من فوره نحو الحفرة التى تجمع حولها بعض الجنود ورجال الشرطة دون أن يهبطوا داخلها ..

هتف (منذر) :

ــ انتبه لئلا يكون هناك قنبلة ، أو سلاح ما ..

أتلفّت حولى فى تعجب ، يسألنى :

ــ ماذا هناك ؟!

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ أنا الذى سأسألك ذات الســؤال .. ماذا هناك ؟! ما كل هؤلاء الجنود ورجال الشرطة والمروحيات ؟! ثلاث مروحيات لأجلى يا (منذر) ؟!

يبتسم :

ــ الحقيقة أنك أصبحت مهمًا جدًا للإدارة ، يرون أنك مهم جدًا للعمل ، خبراتك معنا فى المرة السابقة أذهلتهم ، ويعجبهم كثيرًا غطاؤك الذى تستخدمه ..

ــ أى غطاء ؟!

ــ التاكسى ..

ــ هذه حياتى يا (منذر) !

همّ بأن يقول شيئًا لولا أن فوجئنا بشهقة عالية من الحفرة .. شهقة تحمل صوت وانفعال (ديمترى) !

مشينا بسرعة نحوه وقلقنا يتعاظم ، قبل أن يطل علينا بوجه ممتقع وهو يقول :

ــ لن تصدّقا ماذا وجدنا بالأسفل ..

ــ ماذا ؟!

هتفنا بها أنا و(منذر) بنفس الوقت ، قبـل أن نرى تلك الأشياء الثلاثة التى يحملها الجنود ورجال الشرطة ..

ــ رجالاً آليين !

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

4 ـ إنها مجرد روبوتات !

أوصلنى (منذر) و(ديمترى) بسيارة الشرطة إلى البيت ، بعد أن طلبوا من أحد الرجال أن يقود التاكسى وراءنا ..

لا يمكن لأحد تخيل مشاعر (ديالا) عندما عرفت بالأمر .. لم نقل لابننا (كريم) شيئًا طبعًا ، هو عرف فقط أننى تعرضت لحادث صغير فى العمل ..

وضـعت الإدارة سيارتى شرطـة أمام البيـت .. السيارتان مدنيتان كما هو معروف ، ويرى الناظر لهما أن من فيهما شبان سخفاء ، يستمعون للأغانى الأجنبيـة الخليعـة ، بينما هم فى الحقيقة مجموعة من الرجال المتخفين الأكفاء ..

ذلك المتحول صار طيرًا وهـرب ، استغل نقاط قوته التى لا نعرفها واستخدمها ضدنا .. لهذا نحن فى قلق ، لا نعرف عنه أى شىء سوى أنه يريدنى حيًا ، وأن هناك آليين فى الحفرة التى حفرها بيديه ، عندما كان ذئبًا !

أبتسم وأنا أفكّر فى هذه النقطة ، وتقول لى (ديالا) :

ــ تبتسم ؟!

أنظر لها وأضمّها إلى .. جميل أن يكون لك ابن فى المدرسة ، وأن يكون فى قلبك حب لزوجتك ؛ هو ذات الحبّ الذى أحببته إياها أول الزواج ..

صدّقونى ؛ هذا شىء لن يتحقق إلا إن كان كل طرف يتمنى الخير للآخر بذات القدر الذى يتمناه لنفسـه ، ولن يحدث هـذا إلاّ إن كان هناك تنازلات مستمرّة من كل جهة ، لكسب ودّ الجهة الأخرى !

أهمس فى أذنها القريبة من فمى :

ــ ملكتى أنتِ ، إنها مجرد (روبوتات) لا تقلقى منها .. ليس لى علاقة بما يحدث ولا شك أن القضية انتهت ..

ترفع رأسها وتنظر فى عينى مباشرة وتقول :

ــ كلا ، لم تنته ، وأنا أعلم هذا .. وأنت تعلم أننى أعلم هذا ، فاترك هذه الحجج الصبيانية .. هناك سيارتان لحمايتنا أمام الباب ، وهناك طير هارب كان ذئبًا قتل حارس الحديقة أمامك ..

Loloo www.dvd4arab.com

قالتها ووضعت يديها على جانبى رأسها فى ألم وأردفت :

ــ .. رباه ! يؤلمنى رأسى ! لا أصدق أن هذه الأشياء تحدث لزوجى أنا .. لا أصدق !

أقول فى حنان :

ــ بل صدقى ، هذا هو نمط حياتنا وهذه هى طريقته .. نحن مضطرون لأن نتعايش معها .. هذا ليس بإرادتى يا حبيبتى ، هو اختارنى كما اختارنى ذلك (الياب) قبله ..

تغمغم ، وقد شردت عيناها فى السقف :

ــ لماذا أنت بالذات ؟!

أفكّر معها قليلاً .. فعلاً ؛ لماذا أنا بالذات ؟!

فى تلك المرة المشؤومة كان يتعلق الأمر بموقع إلكترونى .. بماذا يتعلق الآن ؟! بمدونة ؟! أم بأغنية لم يعرف أحد كيفية تحميلها والاستمتاع بموسيقاها ؟!

استفزنى التفكير بالأمر .. قلتُ محاولاً تغيير دفة الحديث :

ــ على كل حال ، دَعْكِ من الأمر وحاولى أن تتعايشى معه ، وأرجو أن يتوقف عند هذا الحد .. ما رأيك أن تعدى لنا كوبين من النيسكافيه ؟

ــ نيسكافيه أم لاتيه ؟

ــ لاتيه ؟! لا تقولى إنها تلك النكهة الخرافية التى جعلتنى أغمض عينى فى استمتاع طوال الوقت ..

ــ نعم ..

ــ حسنًا .. ثلاثة أكواب ، اثنان منهما لى !

تضحك وتنهض وتغيب داخل المطبخ ..

أتأملها وأشرد قليلاً .. (منذر) و(ديمترى) عاكفان الآن على فحص أولئك الرجال الآليين ..

تراهم من الياب ؟!

لا أظن ، لقد كان كلام (ياب 469) واضحًا ؛ هُم آخر اليابيين الموجودين .. لا يوجد سواهم ، وباندثار آخرهم لم يعد لأى شىء يعود لهم أهمية ..

Looloo
www.dvd4arab.com

لماذا أربط كل شىء بأولئك اليابيين ؟!

ربما لأنهم التجربة الأولى الغريبة جدًا التى أراها فى حياتى ، التجربة الأولى مع أشياء غير بشرية .. ربما ..

على كل حال ، سينتهى (ديمترى) و(منذر) من استكشاف (الآليين) اليوم ، وسأعرف ..

أهزّ كتفى ، وأنهض مـن مكانى لأدخـل إلى مكتبى الأنيق ، الذى يبـدو فوضويًا كالعـادة .. المشكلة أننى فوضوى ولكن بطريقة بالغـة الغرابة .. هـل سمع أحدكم بالفوضى المهذبة ؟! بالعشوائية الأنيقة ؟!

« هذا أنا » ؛ كما يقول (آدم) فى أغنيته !

أغلق الباب خلفى فى هدوء .. (ديالا) لا تدخل هذا المكتب إلاّ لتنظيفـه ، لكنها لا تميّز شـيئًا من الأشـياء الموجودة فيه إلاّ جهاز الحاسوب فقـط ، رغم أنه ـ هـو أيضًا موصـول بقطع كثيرة ، لا يعرفها غيرى !

عندما أدخـل شـقة (ديمترى) الملينة باختراعاته ؛ أضيع ولا أستطيع تمييز الأشياء هُناك .. وعندما تتحدث (ديالا) مع شقيقتها أو والدتها على الهاتف ، عـن آخر موديلات الملابس الجديدة ، أو أدوات الزينـة الحديثـة ، وما شابهها من أمور نسائية غريبة ؛ فإننى أشعر بنفس الشعور أيضًا ..

لكل منا عالمه الخاص ، ومكتبى هو عالمى الذى أجـد فيـه حريّتى ، أكثـر بكثيـر مـن التاكسى طبعًا .. أشعر أحيانًا أنه ـ التاكسى ـ مجرد وسيلة نفسية أقوم بها تُجاهى لمعالجتى .. لا أدرى من أى مرض بالضبط ؛ لكنه يقوم بهذا جيدًا !

أتأمل قطعتى الجديدة ..

أمسكها بيدى وأحـدق بكل جوانبها ، أعمل عليها منذ عدة أيام ، أبدأ ليلاً بالعمل عليها وأنتهى قبل الفجر بقليل .. أصلى الفجر وأنام ، وأنطلق إلى العمل قبل الظهر .. هذا ما أفعله منذ أربعة أيام .. تقريبًا ..

قطعتى هذه .. سلاح !

Looloo
www.dvd4arab.com

ســلاح يقــوم بتحويل الأكسجين إلى طاقة شديدة الحرارة ، تسلخ الجلد عن العظم ، باستعمال غاز خاص قمت باستخلاصه من البترول .. وضغطه إلى أقصى حدّ ..

كل هذا فى ولاعة سجائر !

لا أدخن بالتأكيد ، بل وأشعر أن المدخنين حمقى بإرادتهم ، مع احترامى لهم جميعًا ؛ لكننى ــ وكنوع من التحدّى لنفسى وكى أثبت أننى ما زلت أملك مهارتى وبراعتى ــ قرّرت صنع هذا السلاح ، فهو خفيف الوزن جدًّا ، صغير الحجم ، أضعه فى جيبى إن استطعت ، ولن يشكّ فيه أحد ، فهو مخادع ، ويُستعمل ــ بنظر الجميع ــ لإشعال تلك اللفائف البيضاء التى أمقتها ، والتى تسبب أمراضًا تكفى أسماؤها لإثارة اشمئزازى !

ولاعة سجائر قاتلة ..

استعملتُ بصنعها هــذا الغــاز ، مع بعض التوصيلات التى نزعتها من جهاز (آيباد) مستعمل ، تعلمون أن هذه الأجهزة تحوى إلكترونيات دقيقة وضئيلة ، ولكنها ذات مفعول هائل !

وضعتُ الولاعة فى جيبى ، بينما أقبلت (ديالا) ومعها أكواب (اللاتيه) الثلاثة .. أحسنتِ يا عزيزتى .. أحسنتِ ..

جلست بجانبى ، وناولتنى الكوب الأول .. شربتُ منه رشفة ، ورن هاتفى بنفس الوقت ..

ــ آلــو ..

ــ (سامر) ، أنا (منذر) ..

صوته قلق .. ماذا هناك يا ترى ؟!

ــ ماذا هناك يا (منذر) ؟!

ــ نريدك فورًا فى الشقة ، الأمر خطير ..

لا بد أنهم اكتشفوا شيئًا مهمًّا بشأن (الآليين) .. أقول له فى لهفة :

ــ هل عرفتم شيئًا عن الآليين ؟!

يقول فى توتر :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ بل أشياء .

ــ مثل ماذا ؟!

يباغتنى ويجعل جسدى يرتجف :

ــ أعمارهم تتجاوز الألف سنة !

* * *

5 ــ ألف سنة .. على الأقل !

حاولت جعل (ديالا) مطمئنة قدر استطاعتى ، وأخبرتها أن شقة (ديمترى) محمية من قبل جيش من رجال الشرطة ، وأن بيتنا سيظل محميًا كذلك من قبل الذين فى السيارتين ، كما أن هاتفى سيكون معى طوال الوقت بالطبع ، ويمكنها الاتصال بى فى أى وقت طبعًا ، كما تشاء ، وسأردّ على الفور ..

هبطتُ سريعًا إلى التاكسى الجميل الرابض أمام باب البناية ، ركبت فيه وانطلقت نحو شقة (ديمترى) ..

ألف سنة ؟!

آليون ، وأعمارهم تتجاوز الألف سنة ؟!

أخذ عقلى يعمل كالإعصار ، وأخذتُ أنا بدورى أتجاهل الذين يشيرون لى بأيديهم .. أعتذر منكم أيها الناس ؛ هُناك ما هو أهمّ من أى شىء تريدونه الآن ..

وصلت الشـقة وصعدتُ الدرج بسرعة ، ضغطت على زر الجرس وجاء (منذر) وفتح لى الباب :

Looloo www.dvd4arab.com

ــ تفضل يا (سامر) ..

ــ شكرًا ..

نجامل بعضنا وكأنما لا يشغلنا شىء !

أدخل إلى الشقة الغريبة ، وكالعادة أنظر حولى .. ما زالت كما هى ، بهذه الأشياء المجنونة المتناثرة فى كل زاوية وركن !

ينادينى (ديمترى) :

ــ (سامر) ، اقترب ..

أقترب منه .. كان واقفًا وقد ارتدى منظارًا غريبًا يتكون من عدسة واحدة فقــط على العيــن اليمنى ، لم أكن أراها ، كان يحدّثنى وينظر لى بعينــه اليسرى فقــط .. الجميــل أن النظارة لم تكن مســتندة على ذراع معلق بالأذن ، كانــت بدون ذراع ! وقد ذكرتنى ــ نوعًا ما ــ بنظارات (مورفيوس) فى فيلم (ماتريكس) !

أمامه كانت طاولة ضخمة لم أرها من قبل ، لا شك أنه طلبها خصيصًا ، وقد استقرّ فوقها الآليون الثلاثة ..

أنظر لهم عن قرب ، للمرّة الأولى ..

شكلهم غريب .. أنت تعرف (الآلى) بمجرد أن تراه ، لكن هؤلاء كانوا آليين بشدة ! وكانوا مصنوعين من معدن غريب مصقول له لون الفضة ، ويملكون ذات تفاصيل الأجساد البشرية .. وجوههم كانت باردة ، ثلجية ، والعينان زجاجيتان مطفأتان ، والفم شق رفيع مظلم .. ليس هناك أى تفاصيل أخرى !

كان هناك بعض التراب أيضًا ..

يقول (ديمترى) :

ــ لم أكن أتخيل هذا عندما فحصتهم يا (سامر) ، أنهم مصنوعون مــن معــدن لم أستطع معرفته ، هــل تستطيع تخيّل هذا ؟!

أهزّ كتفى بما معناه أننى لا أعرف ، ويشعل (منذر) سيجارة وينظر لنا فى اهتمام ، بينما يتثاءب (عاشق البوم) ويقول :

ــ كما ترى .. فالملامح بسيطة وعادية جدًّا ، ليس هناك ما يميزها وما يشى بأى شىء خــارق .. إلا أننى عندما حاولت تحليل المعدن أو اختراقه فشلت ..

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ ماذا تعنى ؟!

ـ لم أستطع اختراقه ، ولا حرقه ، ولا ثقبــه ! إنه معدن غريب جديد أثار شهيتى العلمية جدًا ، حاولت بشتى الطرق والوسائل التى أعرفها ، لم أعرف .. فقط لم أعرف .. لكننى عندما عرضتُ الأمر على (فابيو) ، وأخبرته أن يُجرى كل الاختبارات التى يعرفها ويستطيع القيــام بها على الآليين ؛ فوجئتُ بالنتيجة !

أهزّ رأسى ، ويكمل :

ـ .. فوجئتُ حقًا بنتيجة الفحص التى أكدت أن أعمار الآليين تصل الألف سنة على الأقل .. كيف هذا ؟! ومن هذا الذى يزرع عدة آليين فى الأرض ؟! وما الأسباب ؟!

ونظر فى عينى مباشرة ، مستطردًا :

ـ .. السؤال الأهمّ ؛ ما علاقتك أنت بكل هذا ؟!

يخيّم صمت بعد سؤاله ، لا صــوت إلاّ تنفسنا نحن الثلاثة .. التفكير يحتلّ كل عقولنا ..

نعم ، ما علاقتى بكل هذا ؟!

لماذا أرادنى ذلك المتحول حيًا ، ولماذا كان لا بد وقتها من أن أكون فى وعيى ؟!

فى وعيى ؟!

لماذا يجب أن أكون فى وعيى ؟!

أفكّر قليلاً بهذه النقطة ، قبل أن يقول (منذر) محاولاً قطع الصمت الممل الذى استمر عدة دقائق :

ـ حاولت أن أتعقب ذلك الطائر بعد أن أوصلناك إلى بيتك ولم أستطع .. الأقمار الصناعية ليست دقيقة وتستطيع تتبع الأشياء إلى هذا الحدّ !

أغمغم :

ـ لا بأس ، لا بأس .. سيكشف عن نفسه عاجلاً أم آجلاً ، علينا وقتها أن نكون جاهزين من أجله ..

يرن هاتف (ديمترى) فجأة ، ينهض من مقعده ويقول ـ بعد أن تثاءب بقوة :

ـ عندى خطة واسعة بشأن هذا ، لكن علَىّ أن أذهب لآخذ هذا الاتصال أولاً ، ثم أعود ..

Looloo
www.dvd4arab.com

يخرج من الباب ، ويغلقه خلفه ..

ــ ما حكايته مع التثاؤب ؟!

ــ لا أدرى ، وأتمنى لو أدرى ..

أسأل (منذر) ويجيبنى .. ثم أقول :

ــ (منذر) ..

ــ نعم يا (سامر) ..

ــ سأحاول أن أفكّر بصـوت مرتفـع ؛ لماذا كان يريدنى المتحول حيًّا ، وبالذات أن أكون فى وعيى ؟!

يضع يده اليمنى تحت ذقنه كحكيم صينى ، ويقول :

ــ همممممم ! هذا شأنه .. لا بد أن هناك سرًّا يتعلق بك ، وأنت نفسك لا تعرفه ..

أنت صادق يا (منذر) .. أفكّر بينى وبينى !

هُناك أمر يتعلق بى ، ولا أعرفه .. لكن ما هو ؟!

طفولتى كانت عادية ، مراهقتى كانت عادية ، حياتى كلها كانت عادية ، زواجى كـان عاديًا .. لا يوجد شىء غيـر عادى

إلاّ اقتحامى عالم الاختراق والإنترنت والتكنولوجيا بكل قواى ، وبكل مهارة وبراعة وثقة ، ومشاكسة !

يُفتح باب الشقة ويدخل (ديمترى) ، ويقترب منا ويجلس على مقعده .. أقول له :

ــ ماذا هناك ؟! لا تبدو سعيدًا ..

ــ لا ، لا شىء .. إنه اتصال أزعجنى فحسب ..

ويلوح بكفه :

ــ دعكما منى الآن وأخبرانى ، هل من جديد ؟!

ــ بشأن ماذا ؟!

ــ بشأن أى شىء ..

ننظر أنا و(منذر) إليه فى دهشة ، ثم نضحك .. ينظر لنا فى غضب قبل أن ينهض ويتجه إلى النافذة ، ويزيح الستارة وينظر إلى الأسفل ..

ــ هل هناك شىء يا (ديمترى) ؟!

Looloo
www.dvd4arab.com

يسأله (منذر) ، فيجيبه :

ــ لا .. لا شىء ..

يبدو (ديمترى) مختلفًا !

أنتبه بغتة لهذا الأمر ؛ شىء ما لا يبدو على ما يرام .. صوته ذات الصوت ، ملابسه ذات الملابس ، ملامحه ، أسلوبه ، طريقته فى المشى ، والجلوس ..

أعرفه منذ فترة قريبة لكنها كافية لى كى ألاحظ أى تغير ، هُناك شىء مختلف .. هُناك شىء لا يبدو كما هو ..

ينظر من النافذة ، وأقول ــ أنا ــ بصوت خافت ، وقد مددت يدى بهدوء نحو (منذر) محذرًا :

ــ اسمع ..

ــ ماذا ؟!

أقول بصوت حاولتُ أن أبدو فيه طبيعيًا :

ــ هذا ليس (ديمترى) !

* * *

6 ــ (ديمترى) ..

ينظر لى (منذر) فى ذهول !

(ديمترى) ما يزال عند النافذة ، لا أعرف ما الذى يفعله هناك بالضبط ، ولكن موقعه كان ممتازًا بالنسبة لنا ..

ــ هل معك سلاحك ؟!

أقولها بصوت خافت للغاية ، يميل (منذر) إلى الأمام وقد حملت ملامحه كل علامات عدم التصديق :

ــ نعم ، ولكننى لا أصدقك ..

ــ أنت تعرفه أكثر منى ، هل وجدته طبيعيًا بعد أن عاد ؟!

يتأمل (ديمترى) قليلاً ، ثم يقول :

ــ معك حق ، هناك شىء مختلف ..

أهمّ بالنهوض بهدوء أنا و(منذر) ، قبل أن نسمع صوت التصفيق من (ديمترى) ..

Looloo
www.dvd4arab.com

يلتفت إلينا بابتسامة مخيفة ، وقد ثبّت عينيه علينا مباشرة ..

ــ أنت لست (ديمترى) !

يقولها (منذر) وهو يشير له بسبابته ، وأكمل أنا :

ــ أنت ذلك المتحول اللعين !

يضحك المتحول بصوت مرتفع .. يقترب منا ببطء بينما نتراجع نحن إلى الخلف ، يخرج (منذر) سلاحه بسرعة ويصوبه نحوه :

ــ قف .. لا تقترب وإلا أطلقتُ عليك النّار ..

يقف المتحول ، ويقول :

ــ حقًّا ؟! هل تعتقد أن هذا السلاح سيفعل شيئًا ؟!

يتوتر (منذر) ويكاد يضغط على الزناد .. أنظر له نظرة محذرة ألاّ يفعل .. نحتاج هذا الرجل ، نحتاجه لنعرف ما عنده من معلومات نجهلها !

ــ نعم ، لا تضغط على الزناد ، لا شك أنكم تريدوننى لتعرفوا حلول الألغاز التى تحيط بكم ، والأسئلة التى تطرحونها على أنفسكم دون أن تجدوا أى إجابات منطقية !

أهزّ رأسى إيجابًا ، وأقول :

ــ من أنت ؟! وما الذى تريده منى ؟! ولماذا تحتاجنى حيًّا ؟! ولماذا بوعيى ؟! و ...

يقاطعنى رافعًا ذراعيه :

ــ لحظة ، لحظة .. اهدأ قليلاً يا رجل ..

يهتف (منذر) :

ــ أين (ديمترى) ؟!

يلوّح بكفه فى لا مبالاة :

ــ آه ! (ديمترى) ؟! لا تقلق .. إنه غائب عن الوعى فى الخارج ؛ لكمة واحدة على منتصف أنفه كانت كافية بالنسبة له ليسقط على الفور .. أنا الذى اتصلت به بالمناسبة لأستدرجه !

أنظر إليه وأقول بغضب :

ــ أيها الحقير ..

يتجاهلنى ويقول ــ موجهًا نحونا سبابته :

Looloo www.dvd4arab.com

ـ المهم الآن أن نركز فى وضعنا الحالى ، أنت لا تملك شيئًا سوى خبرتك ، وأنت لا تملك شيئًا سوى مسدسك ، وهُناك مجموعة كبيرة من رجال الشرطة المتنكرين فى الخارج .. أليس كذلك ؟!

أدهشنى كلامه ؛ كيف يعرف هذا ؟!

يدهشنى أكثـر ، بل يذهلنى حين يبـدأ شكله بالتماوج ، والتذبذب ، والتحول أمامنا إلى آخر شخص يمكن تصوّره ..

(سامر رمضان) !

* * *

ننظر إليه فى استغراب هائل ، وذهول كامل !

أنا ، أنظر إلىّ ..

الموقف عجيب جدًا ، ولا يمكنك تصديقه ما لم تعشه .. يبدو أننى لا أرى غير العجائب هذه الأيام !

أنظر له فى قلق ، لقد تحول إلىّ .. إلى شكلى ، نفس ملامحى وملابسى ، وكل شىء ..

ما خطوته القادمة يا ترى ؟!

يقول (منذر) ، وقد ألجمت المفاجأة لسانه ، وصدمته بشدة :

ـ (سامر) ، إنه أنت ..

أقــول :

ـ كلاّ طبعًا ، إنه أخذ شكلى ولكنه لن يكون مثلى أبدًا ..

يبتسم المتحول ، ويقول :

ـ حسنًا ، ليس معى وقت كبيـر لذا سأقـوم بما يجب على فعله ، اعذرنى يا (منذر) ..

قالها وقفز بسرعة غير عادية نحونا ، بشراسة ..

أغمضـتُ عينى لا شعوريًا وأنا أشـهق ، وسمعتُ صوت رصاصات نارية .. لم يسيطر (منذر) على يده التى فوق الزناد مباشرة ، معه حق .. أى شخص فى مكانه كان سيطلق النار فور أن تحول الوغد إلى شكلى !

Looloo
www.dvd4arab.com

يرتطم شىء ليّن بجسدى ، ونسقط سويًا على الأرض .. أفتح عينى لأجد أن هذا الشىء اللين هو (منذر) ، فاقدًا الوعى !

ينهض المتحول بهيئة (ديمترى) وبيــده المسدس ، يصوّبه نحوى فى استخفاف ، أنهض عن الأرض بهدوء وأرفع يدى عاليًا .. ليس أمامى حل سوى هذا كما أرى ..

ينظــر لى فى استخفاف ، يحــكم قبضــته على المسدس ، ويطحنه !

أنظر بذهول ، صار المسدس فى يده قطعة مشوّهة من الحديد ، بحجم قبضته .. ثم ألقى بها نحو الحائط ..

سقطت أرضًا ، ونظر لى :

ــ أنت لا تعرف كم أنت مهمّ بالنسبة لنا ..

أصمت قليلاً ، ثم أقول برجاء :

ــ من أنتم بالضبط ؟!

يجيبنى فى غموض ، بعد صمت مماثل :

ــ ستعرف كل شىء فى وقته ..

قالها واتجه نحو الطاولة التى يجلس عليها الآليون مردفًا :

ــ أما الآن ؛ فعلينا عمل لا بد أن ننجزه ..

تساؤل :

ــ أنا وأنت ؟!

غموض :

ــ بل أنت ، وأنا !

قدّم الضمير الذى يخصنى على الضمير الذى يخصه ، لماذا ؟! هل أهميتى فى هذا العمل تفوق أهميته ؟!

يقترب من الطاولة ، يغمض عينيه ، يقول عدة كلمات غريبة ، بلغة مجهولة ..

كلمات ؟!

لم أهرب وأنا أنظر ، فضولى كان يتفوّق عَلَىّ بمراحل ، كما أن الهروب سيكون أغبى شىء ممكن أن أفعله الآن بعدما رأيت ما هو قادر عليه ..

Looloo
www.dvd4arab.com

أستمرّ بالنظر ، ويستمر هــو بالتمتمة .. يبــدو أنها كلمات تعويذة ما أو سحر ..

تعويذة على آليين ؛ يبدو هذا عجيبًا بحق !

فجأة ارتجف كل جسدى وارتعش ، لقــد تراجع الوغد إلى الخلف قليلاً ، ونظر لى فى ظفر قائلاً :

ــ سينهضون !

لثوانٍ ، لم أستوعب ما قاله ، أو بالأحرى ؛ لم أكن أريد أن أستوعب ما قال !

لقد بدأت أطرافهم بالتحرك ، شيئًا فشيئًا ، فى بطء ، وأنا أنظر فى رهبــة وقلق .. بينما يبــدو على وجهه ــ الذى يحمل ملامحى ــ علامات اللهفة والانتظار والترقّب !

أمر مضحك ؛ نحن اثنان فى غرفة واحدة ؛ كل واحد منا له ذات الشكل ، لكن ملامح كل شخص تختلف تمام الاختلاف عن الشخص الآخر !

نهضوا ، واستووا جالسين ، وأضيئت عيونهم بنور مشع قوى آذى عينى قليلاً ، وانبعث من شق الفم المغلق ، لون أحمر هادئ ..

بدا الثلاثة هاربين من فيلم خيال علمى متقن !

فرك المتحول يديه وهو ينظر إليهم ، وقال :

ــ لقد استيقظوا بعد سبات !

ــ من هُم ؟!

هتفت بها وأنا أنظــر إليهم كالمأخوذ ، وقــد استولى عَلَىّ منظرهم الغريب ، خصوصًا أنهم لم يهبطوا ليقفوا على الأرض ، بل بقوا محلقين فى الهواء ، معلقين فوق الأرض بعدّة سنتيمترات !

قال لى وعيناه تبرقان فى شدة :

ــ هُم طريقنا للوصول ..

ــ إلى أين ؟!

همس :

ــ هُناك ..

Looloo
www.dvd4arab.com

أكره الأجوبة التى لا تجيب على الأسئلة ، ولا تزيد شيئًا سوى تعقيدها أكثر فأكثر !

أسأل بلهفة شديدة :

ــ هُناك أين ؟!

ــ هُناكَ .. فى مدينة الجماجم !

* * *

7 ـ مدينة الجماجم ..

لن أستغرب شيئًا ، ولن أقول أنه يخرف ، ولن أقول كما يمكن أن أقول فى موقف آخر :

لا شك أنه جُنّ !

أو : لا شك أننى جننت !

أو : لا شك أننى أحلم !

ما دام قد ذكر مدينة الجماجم ، فلا شك أن هناك مدينة للجماجم .. هذا واضح ..

المشكلة أننى شعرت بى وقد ضعتُ تمامًا عند هذا الحدّ .. من أين هو أصلاً ؟! وما هى مدينة الجماجم ؟! ولماذا يريد الوصول إلى هناك ؟! وكيف يكون الآليون طريق الوصول ؟! وما علاقتى بهم على أى حال ؟!

أترجم الفكرة الأخيرة إلى سؤال :

ــ ما علاقتى بكل شىء على أى حال ؟!

Loolooo
www.dvd4arab.com

ينظر لى :

ـ ستعرف ، ستعرف ..

قالها واقترب منى بسرعة ، وسرعان ما وجدت نفسى أسقط فاقدًا للوعى !

لم يفعل شيئًا ، لم يلقِ فىَ وجهى سائلاً ما ، لم يقل كلمة معيّنة ، لم يضربنى ، لم يؤذنى ..

فقط اقترب ، لأسقط !

* * *

الذئاب تهاجمنى من كل صوب ..

الشموس فيها وجه (ديالا) .. أحبك أيتها الجميلة ..

ينادينى (كريم) :

ـ بابا ، لا تسرع ، نحن فى انتظارك !

أضحك .. الناس يضحكون .. القمر يضحك ..

يتثاءب (ديمترى) فى قوة ، ويركل وجهى ..

يسعل (منذر) ويطفئ السيجارة بلسانه ..

يهتف (همام) بوجـه (المتنبى) ، ويقطع رأسه بالسيف ، بينما يصهل حصانه بغضب ..

الألوان تغادر الشمس .. يا لها من مسكينة ! لم يبق فيها غير البياض فحسب .. الشمس بيضاء ..

الليل أصفر ..

الكائنات ، الموجودات ، الحقائق ، الخيالات ؛ كلها صارت فى مهبّ النسيان ..

وأنا .. فى سماء حمراء معتمة .. لا أعرف كيف صارت حمراء ، ولا أدرى كيـف لها أن تكون معتمـة ، ولكنها هكذا وحسب ..

تمتدّ تلك اليد فجأة من السماء ، كبيرة هى ، ولها مخالب .. أصرخ وأصرخ .. أصرخ .. أبكى .. أشدّ شعرى ..

Looloo
www.dvd4arab.com

وأستيقظ !

أهبّ فجأة عن الأرض وقد غمرنى العرق .. صدرى يرتفع وينخفض كعداء يركض منـذ ساعات بلا توقـف .. الشهيق والزفير يكاد يستهلك كل الأكسجين من حولى ..

أنظر فأرى المتحول أمامى وقـد عاد لهيئته الأولى ، وبجانبه الآليون الثلاثة .. أتأمل المكان ، نحـنُ فى ذات الحفـرة التى صنعها عندما تبعته هُنا ، بإرادتى الحرّة !

أعرف أن إدارة المخابرات العامّة وضعت بعض العملاء هُنا لتأمين المكان ، وأعرف أنهم بحثوا فى الحفرة بعد أن أخرجوا الآليين لعلهم يجدون شيئًا جديدًا ..

أولاً ؛ أين العملاء ؟!

ثانيًا ؛ هل ثمة شيء آخر فى الحفرة لم ينتبهوا لوجوده ؟!

يقترب منى المتحول :

ــ استيقظت ، أليس كذلك ؟!

أنظر إليه فى حقد وأقول :

ــ ماذا فعلت بالرجال ؟! أين هم ؟!

ــ لا تقلق عليهم ، وابدأ بالقلق على نفسك ..

ــ لماذا ؟!

يقول دون اهتمام :

ــ لقد انتهى أمرهم ، أنت الذى يجب أن تهتمّ لأمرك الآن ، فافهم ما سأقول جيدًا ..

أنظر نحوه فى غضب شديد ، أتمنى لو يكون بوسعى أن أهاجمه لأرتكب فيه العجائب .. لكن الشجاعة الآن تُعتبر قمّة الحماقة ، ومن الخطأ أن أتهوّر وأنا أعرف ــ جيّداً ــ الفارق بين الصّفتين !

يقترب وهو يقول ، وقد مشى معه الآليون :

ــ أنت مهم لنا جدًّا ، ولا أعرف لماذا .. لكننى أعرف أن هؤلاء الآليين مدفونين هنا منذ ألف وثلاثمائة سنة ، بانتظار هذه اللحظة !

أقول فى تساؤل حقيقى :

Looloo www.dvd4arab.com

ــ أى لحظة ؟!

ــ لحظة وجودى أنا وأنت على خطّ زمنى واحد .. أنت لا تعرف أننى مسافر ، تنقلتُ كثيرًا من أجل هذه اللحظة ؛ لحظة أن نلتقى على خطّ الزّمن .. ومن أجل أن يأتى اليوم الذى أستطيع فيه التمسك بهذه الأيام كى يتحقق الوصول إلى الباب ..

لا أفهم شيئًا ، لكننى أريد معرفة كل ما عنده !

يكمل :

ــ .. هؤلاء كانــوا ينتظرون كما كنت أنتظر ، هم مقاومون للوقــت وعوامل الحيــاة بعكسى .. أنا كــان لا بد أن أعــانى كثيــرًا كى ألتقى بك ، ولا بد لى مــن استغلال اللحظــة حتى أقصى حدّ ..

عن ماذا يتكلم ؟!

من أنا حتى يتكلم عنى هكذا ؟!

من أنا حتى يقول إنه عانى كثيرًا حتى يلتقى بى ؟!

يردف :

ــ .. لم يكن من السّهل أبدًا أن أضع خطة مضمونة لطريق رحلتى ووقتها .. كنت أقوم بحسابات عشوائية تكاد أن تقترب من التوقيت الصحيح ، لكننى كنت أخطئ فى كل مرة ، كما أن هذا شىء قرّره عَلَىّ الرؤساء .. أنا مجرّد عبد مأمور !

يصمت قليلاً ، يشرد فى البعيد ويبدو أنه يتذكر عدة أشياء .. يستطرد :

ــ .. أحتاجك حيًّا لأنك الشخص المنتظر ، ولأننا ننتظرك أنت بالذات كما أخبرتك .. وأحتاجك فى وعيك لأن صوتك هو الذى يهمّنا ، صوتك !

آها .. لهذا يريدنى هذا اللعين حيًّا ، وواعيًا !

يفسّر عبارته الأخيرة :

ــ .. هُناك غرفة ، والوصــول إليها يحتاج قوة لا أملكها وحدى ، ولهذا وُضع هؤلاء الآليون .. كما أن هناك كلمة سرّ ، قولُها يحتاج إلى صوتك ! صوتك أنت سيفتح البوابة بيننا وبين مدينة الجماجم ، وسأعود إلى هُناك أخيرًا ، لقد سئمت السّفر والتجوال طوال هذه السنين !

Looloo
www.dvd4arab.com

أهتف وقد بدأ شىء من حقيقته يظهر :

ــ ماذا ؟!

يقول فى دهشة :

ــ ألم تستنتج هذا لوحدك ؟!

ــ ماذا بالضبط ؟!

ــ أنا مسافر عبر الزمن !

* * *

8 ــ المسـافر ..

مسافر عبر الزمن ..

غبتُ هُناك فى البعيد وأنا أفكّر فى معنى الكلمة .. هذا يفسّر كل شىء ..

لهذا قال إنه كان ينتظر أن نلتقى على خط زمنى واحد ، يبدو أن آلة السفر التى يستخدمها لا تعمل جيدًا ، أو أن هناك عطلاً أصابها ، مما جعلها تلقى به ــ كل وقت ــ فى مكان لا يعرفه ، وزمن لم يختره بنفسه ..

كان الأمر بالنسبة له أشـبه بلعبة طويلة ولا تعتمد إلاّ على الحظّ فحسب ، كما أنه مارسها أكثر من ألف سنة !

قلت :

ــ مسافر عبر الزّمن ؟!

قال وهو ينظر إلىّ مباشرة :

ــ نعم .. أنت لا تدرك كم الأمر مرهق .. الحياة ، والسفر ، والعشوائية ، والتخبط ، وصنع الشخصيات كل عدة أعوام كى

www.dvd4arab.com

لا يكتشف الآخرون أنك لا تكبر فى العمر ..

أقول فى دهشة :

ــ هذا شكلك الحقيقى إذًا ؟!

يقول بدهشة أكبر :

ــ وماذا توقعت ؟!

كنت أظن أن هناك قناعًا ما ، أو أنه يخفى شيئًا .. هذا ما تخيلته وأنا أتأمله ..

ــ لا شىء .. لا شىء ..

هكذا أجبته ، فسكت قليلاً ثم قال :

ــ على كل حال ؛ علينا عمل ولا بد أن ننجزه ، وأنت من النوع الذى يتحدث ويسأل كثيرًا .. أعتقد أننا تكلمنا أكثر بكثير من اللازم ..

ونظر إلى الآليين مردفًا :

ــ .. لا أعرف ماذا يُمكن أن يحدث لو عرفوا أننى أخبرتُ أحدًا عن هويتى .. هاهاها ! لا أتخيل ردّ فعل الكاهن (دوراك)

بالذات !

قالها وضحك .. وصدر صوت غريب من الآليين وكأنهم يضحكون بدورهم !

لكن بالنسبة لى ؛ فقد شعرت وكأن أحدًا صفعنى ..

(دوراك) ؟!

الكاهن (دوراك) ؟!

انتفضتُ فى مكانى بكل دهشة وذهول ..

ــ الكاهن (دوراك) ؟!

يلتفت لى ، ويقول بدهشة وتساؤل :

ــ نعم .. هل سمعت هذا الاسم من قبل ؟!

ــ من أين تعرف الكاهن (دوراك) ؟!

يسألنى بإصرار :

ــ بل من أين تعرفه أنت ؟! من أين لك أن تسمع بهذا الشخص الذى لا أظن أحدًا يعرفه سواى هُنا ؟!

أقول :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ أعرفه .. وأعرف أن هناك أميرة اسمها (مونجاسا) كذلك !

تبدو الدهشة الشديدة على وجهه عند نطقى الاسم ، بينما ترتسم الدهشة أكثر فى أعماقى ..

من المفروض أن اليابيين الذى جاءوا المرة السابقة على معرفة بهذا الرجل ، بما أنهم ــ جميعًا ــ يعرفون (دوراك) و(مونجاسا) !

يقول لى :

ــ من أين تعرف هذين الاسمين ؟!

ــ وأعرف قوانين (إيزين) كذلك !

أضيئت عيون الآليين بوهج أقوى لدى نطقى هذا الاسم .. قبل أن تعود لحالتها الأولى ، بينما أصبح وجه المتحول مضحكًا .. انفعال الاستغراب يبدو على وجهه غريبًا جدًّا !

أعتقد أننى فاجأت هذا الوغد كما يجب !

يسألنى :

ــ تعرف (دوراك) و(مونجاسا) وقوانين (إيزين) ؟!

لا شـك إذًا أننى لسـتُ أول من يصلُ إليـك .. هـذا متوقع .. همممم !

يفكّر قليلاً ويُردف :

ــ .. همممممم ! من أرسلوا إليك قبلى ؟! هل بعثوا واحدًا من (اليابيين) أم واحدًا من (أبناء البركان) ؟!

ــ بعثوا واحدًا من اليابيين !

أجيب سؤاله ، فينظر لى وهو يبتسم ..

لا أدرى لماذا أجبته ، ربما لأن عندى سؤالاً :

ــ .. من أين تعرفهم أنت ؟!

يصمت قليلاً ، ثم يقول :

ــ كلهم من هناك ..

أسأل :

ــ من مدينة الجماجم ؟!

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ نعم ..

ــ حتى اليابيون ؟!

ــ نعم ، كلهم من مدينة الجماجم ..

أقول بحيرة :

ــ ومن هم أبناء البركان أولئك ؟!

يتجاهل سؤالى ، ويقول بصوت صارم عدة كلمات للآليين الذين معه .. يقترب منى أحدهم ويمسكنى من كتفى ، يرفعنى مثل طفل صغير بيديه الاثنتين وأنا أحتج دون فائدة ؛ بينما نزل هو مع الآليين الآخرين أمامنا إلى داخل الحفرة ..

صرنا جميعًا فى الأسفل ، لا شىء إلا التراب ..

ينزلنى الآلى الذى يحملنى على الأرض بقوة ، أئنُ بألم .. لا أحد يستمع لأنينى طبعًا ..

يخرج المتحول قطعة حمراء من جيبه ، ويرميها على الأرض ، أنظر لها .. هى مجرد قطعة صماء ذات لون أحمر ، يبدو أنها من الحديد ..

فجأة برز منها ساق ، وساق أخرى ، وسيقان أيضًا ، وانقلبت بظرف دقائق إلى عنكبوت حى ، يكسوه الشعر ، وصوت تنفسه يثير الاشمئزاز فى النفس ..

عنكبوت أحمر ؛ حجمه وشكله كحجم كرة السلة وشكلها !

بدأ يحفر يمينًا ويسارًا ، وينثر التراب فى كل صوب ، وأنا أنظر فى دهشة واستغراب شديدين ، و(المتحول) يتابع الأمر مع الآليين باهتمام ولهفة ..

العنكبوت يستمرّ بالحفر ، قبل أن يُخرج من الأرض لوحة تحكُم لا تشبه أى لوحة تَحكُم رأيتها فى حياتى ، يمسكها برجليه ، ويرفعها نحو (المتحول) ..

كانت ممتلئة بالأزرار البيضاء والسوداء ، مختلفة الأحجام ، وهُناك أسلاك ، ووصلات ممتدة منها إلى الأرض .. إلى الأسفل .. إلى الأسفل ، ولا أدرى بماذا تتصل بالضبط !

يبدو الظفر على وجه (المتحول) .. أكاد ــ مع بعض الخيال ــ أن أضـع نفسى فى مكانه ؛ إنه بانتظـار هـذه اللحظـة منـذ سنين طويلة جدًا ، ولا شك أن قلبه ينبض بين ضلوعه بشدة وحماس ..

Looloo
www.dvd4arab.com

يعود العنكبوت لما كان عليه ، مجرد كرة حمراء صغيرة ، وتقفز هذه الكرة أمام عينىّ المندهشتين إلى جيب المتحول ..

ينظر إلىّ ، ويقترب منى ؛ ممّا يجعلنى أقول بتوجس :

ــ ماذا هُناك ؟!

يقترب ، ويمدّ يده إلىّ كى أنهض .. أنهض وأنا أنظر إليه فى ترقب ؛ ماذا يريد منى ؟!

يسحبنى من يدى إلى حيث الجهاز ، أنظر إليه باستغراب .. يضغط عليه زرًا فتخرج كأس زجاجية من تجويف ، يمسك الكأس بيده ، ثم فجأة وبسرعة عجيبة فوجئت بيده تتحول إلى سكين مصقولة حادّة ..

مدّها إلى رسـغى وجرحنى جرحًا بسـيطًا ، صرخت بألم وحاولت أن أفلت ولكن يده الأخرى كانت تمسكنى بقوة رهيبة ..

سال بعض الدم من رسغى وأسقطه بالكأس ؛ ثم وضع الكأس فى التجويف ، وضغط زرًا ، فاختفت الكأس بالداخل ..

وأنا أنظر فى دهشة !

ــ لماذا دمائى أنا ؟!

هتفت بها وقد غمرنى الانفعال والدهشة والغضب والتساؤل ، فى مزيج عجيب ومثير للضحك ..

لا يجيبنى فأكرر :

ــ .. لماذا دمائى أنا أيها المخبول ؟!

يترك يدى ، وينظـر لى ويقــول ــ وقــد بدأ الجهاز يصدر صوتًا :

ــ ليس دماءك فقط ..

أصمت قليلاً .. أقول :

ــ ماذا هُناك أيضًا ؟!

ــ صوتك !

يقولها فأتذكّر .. الوغد ! لقد أخبرنى أنه يريدنى حيًّا وواعيًا من أجل صوتى ، صحيح .. لكننى اكتشفت الآن أنه يريدنى هكذا من أجل صوتى ، ودمى !

أقول بحنق :

ــ لم تجبنى ..

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ ماذا ؟!

أكاد أصرخ :

ــ لماذا دمائى بالذات ؟!

ينظر لى وهو يتنهّد .. لنظرته معانٍ كثيرة للغاية ، أعترف أنى لم أفهم منها أى معنى !

يقول :

ــ لهذا قصة طويلة ..

أقول بدورى وأنا أعقد ساعدى أمام صدرى :

ــ معى كل الوقت الذى فى العالم ، أخبرنى ..

يقول بسرعة وهو يضغط أزرارًا أخرى فى الجهاز ؛ بطريقة معقدة متشابكة لم أستوعب ما الهدف منها :

ــ وأنا ليس معى أى وقت ؛ أعتذر ..

ــ إذًا فلن تسمع صوتى !

أقولها فى تحدٍّ ، فينظر لى فى غضب ، ويقترب منى ، .

ويمسكنى من ياقتى قميصى بعنف ؛ ويقول لى ــ وعيناه فى عينى مباشرة ، وبصوت كالفحيح :

ــ ليس معى وقت لألعابك الصبيانية الحمقاء هذه ، ستقول الآن العبارة التى نريد منك أن تقولها للجهاز ؛ وإلاّ أرسلتُ أحد أبناء البركان لقتل زوجتك وابنك !

أنظر فى قلق .. نعم ؛ المتحول الذى كان ذئبًا ، وصار طيرًا ، وهو ــ من الأساس ــ مسافر عبر الزّمن منذ مئات الأعوام ؛ قادر على هذا لو أراد !

ــ حسنًا ، حسنًا .. سأقول ما تريد ..

يتركنى ويقول :

ــ جيِّد ..

ــ لكننى لم أعرف بعد ما علاقة دمى بهذا الجهاز ، وما علاقتى بكم وبما يجرى ؟!

يبتسم فى غموض :

ــ ستعرف .. سيخبرونك بكل شئ ..

Looloo
www.dvd4arab.com

أسكت قليلاً محاولاً استيعاب الأمر .. ثم أقول :

ـ من الذين سيخبروننى ؟!

يجيب :

ـ هُم !

ـ كيف سيخبروننى ؟!

ـ وجهًا لوجه طبعًا !

يقولها مبتسمًا ؛ ويكمل :

ـ .. سنأخذك معنا إلى هُناك !

* * *

9 ـ سيأخذوننى معهم ..

لثوانٍ ؛ بقيت أنظر له فى ذهول كامل ..

ـ ماذا ؟!

ـ كما سمعت يا عزيزى ؛ سنأخذك معنا !

أتمتم وقلبى ينتفض :

ـ إلى هُناك ؟!

ـ إلى هُناك .. نعم ..

قالها ولم يبق عندى أى مجال للتفكير ، نسيتُ كل شىء كنت أفكر فيه ، نسيتُ أن هناك آليين ، وفعلتُ آخر شىء توقعت من نفسى أن أفعله :

لقد أطلقت ساقى للريح !

هربتُ فجأة وركضت من بين الآليين بأقصى ما أستطيع من سرعة ؛ متجاهلاً قدراتهم ..

Looloo
www.dvd4arab.com

كنتُ مخطئًا وساذجًا بالطبع ؛ لم أكد أبتعد عدة أمتار حتى وجدتنى أتلقى عدة لكمات وركلات حديدية فى بطنى ووجهى ؛ جعلتنى أشعر بآلام شديدة للغاية ، وجعلتنى أبصق بعض الدم ، ساقطًا على الأرض بقوة ..

يقترب منى ويقول :

ــ ستقول ما تريد ، وسنأخذك معنا ، وإلاّ ..

ولم يُكمل ؛ كان تهديدًا كافيًا ووافيًا ؛ جعلنى أهزّ رأسى متفهمًا رغم أنفى !

نهضت وقلت وأنا أمشى معه نحو الجهاز :

ــ مع كل هذه التكنولوجيا التى تملكها ، ومع وجود الآليين هُنا ، والتطور الذى شاهدته منك ومن (اليابيين) ؛ ألا توجد وسيلة لجعلك تقوم بهذا الأمر ، بصوتى ؟!

يقول :

ــ كان هذا سيكون سهلاً لولا أن هذا الجهاز متطور إلى درجة لن يمكنك تخيلها .. إنه قادر على تمييز الصوت الحقيقى

من الصوت المزيف بنسبة دقة هائلة للغاية ؛ لا مجال معها للخطأ البتة .. ولذا كان لا بد من إحضار الأصل ، وليس صنع نسخة ..

قالها ، ففكرت سريعًا :

هُو يريد أن أقول كلمة أو عبارة ما ، ستكون سببًا فى أن يُفتح هنا باب أو فجوة ، ننتقل منها إلى مدينة الجماجم ، التى لا أعرف إن كانت فى عالمنا تحت الأرض ، أو فى زمن آخر ، أو فى بُعد مكانى لا يعرفه غيرهم ، أو فى عالم موازٍ لم يزره أحد !

هُو يريد هذا ، كى نذهب جميعًا إلى هُناك ..

لماذا ؟!

لا أدرى .. لم أعرف بعد ..

يقول لى :

ــ اقترب ..

ــ ماذا ؟!

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ اقترب فحسب ، أريدك أن تنطق كلمتين !

ـ ما هما ؟!

ـ مدينة الجماجم !

بغتة ، تذكّرت شيئًا كان منسيًا بالنسبة لى ..

تذكّرت ولاعة السجائر !

لقد كانت معى منذ البداية ، نعم .. هى معى الآن ، فى جيبى ، وقد وضعتها هُناك منذ أن خرجتُ من المنزل ، من مكتبى ، من غرفتى الخاصة التى أجد فيها عالمى الخاص ..

وقفت ومددتُ يدى إلى جيبى ، ونظرت إليه ـ المتحول ـ وإلى الآليين الثلاثة .. قِستُ المسافة التى بينى وبينهم بنظرى ، وأدركتُ أنى أستطيع فعل شىء ..

المشكلة الوحيدة أننى سأضطر للمجازفة ؛ فأنا أنهيت التعديل على الولاعة كما أريد ، ولكن لم تسنح الفرصة لى كى أجرِّبها وأتأكد من فاعليتها ..

الآن سأجرّب !

أخرجتُها من جيبى ورفعتها مباشرة أمام وجهى باتِّجاههم ، فنظروا إلى جميعًا فى وقت واحد ، وبالذّات (المتحول) ..

كانت عيناه تحملان كل الغضب الموجود فى الدنيا !

ـ ما هذا ؟!

قالها وهو ينقـل عينيه بين الولاعة ، وبينى ، فقلت بتوتر حاولت أن أسيطر عليه :

ـ سأخرج من هنا ..

ـ لن تخرج !

ـ بل سأخرج !

قلتها بإصرار ، قبل أن أردف وأنا أمسكها وأوجهها إليهم :

ـ .. ستتركنى أخــرج مــن هنــا دون أن تقترب منى أنت أو هؤلاء الأغبياء الذين معك .. و ...

كنت أريد أن أكمل العبارة لولا أنه تحول بسرعة خارقة إلى ذئب ، ذات الملامح الذئبية التى رأيته يتحول إليها أول مرة ، ويقفز نحوى فى شراسة ..

Looloo
www.dvd4arab.com

لم أتمالك نفسى ، وألقيتها نحوه وأنا أصرخ ، بعد أن جعلتها تعمل بحركة سريعة من إبهامى ..

.. وهبّت النار !

* * *

فوجئتُ بالنار تهب فحبستُ أنفاسى على الفور ، وتراجعت بظهرى إلى الخلف بسرعة لم أعهدها فى نفسى ، وقد تحول الأكسجين المحيط بالمتحول والآليين إلى نيران ..

إنهم يشتعلون ، يحترقون ، يصرخون ، يحاولون فعل أى شىء ؛ لكن الولاعة تعمل جيدًا ..

الوصلات المستخدمة فى تعديل الولاعة ، والغاز الخاص الذى صنعتُه ؛ قاما بالعمل المطلوب منهما كما يجب ..

أتراجع إلى الخلف ، إلى الخلف ، ثم أعكس وضعية جسدى وأخرج من الحفرة وأنا أصرخ من الألم .. لقد مسّنى شىء من النار الحارقة .. إن ظهرى كله يؤلمنى !

يسود صمت ..

الآلام تشتعل فى جسدى ..

صدرى يعلو وينخفض ، إننى ألهث .. ألهث بقوة ..

أنظر حولى .. لا أحد !

أزدرد لعابى ، أمد يدى نحو جيبى وأخرج هاتفى المحمول .. أتصل على (منذر) مباشرة ..

لا يرد على أول مرّة ، ولا الثانية ، ولا الثالثة ، ولكنه يرد عَلَىَّ أخيرًا فى المرة الرابعة ..

يقول لى بصوت مُرهق ومُتعب :

ــ ألو ..

أقول بلهفة :

ــ (منذر) .. حمدًا لله أنك رددت عَلَىَّ أخيرًا ؛ هل استيقظت أخيرًا من غيبوبتك ؟

يتنهّد ، ويقول :

ــ نعم ، نعم .. قل لى ، أين أنت ؟

Looloo
www.dvd4arab.com

ثم سمعت أصواتٍ مختلطة متشابكة من عنده ، لم أميزها ، قبل أن يقول ــ وقد بدا أنه عاد إلى وعيه دفعة واحدة :

ــ أين أنت يا (سامر) ؟! أين ذلك الوغد ؟!

أقول فى سرعة :

ــ أنا فى (حديقة المجد) يا (منذر) ، وحدثت معى أمور كثيرة وغريبة ، وسأخبرك إياها بالتفصيل ، لكن عليك أولاً الحضور إلى هُنا مع (ديمترى) ..

يهتف :

ــ (ديمترى) !

هتف بها وأحسست أنه انتبه إلى غياب (ديمترى) .. أسمع منه الآن صوت خطوات ولهاث ، صوت باب يفتح ، صوت تنهيدة عميقة ، ثم فى ارتياح سمعت صوته يخبرنى أن :

ــ .. إنه هُنا ، أمامى .. ما يزال فاقدًا وعيه !

ــ (منذر) ، أيقظه وتعالا لى فورًا ، أنا بانتظاركما ..

يقول منهيًا المكالمة :

ــ حسنًا ..

أنتظرهما وأنا أتذكر حــوارات اليــوم مع ذلك المتحــول ، وأولئك الآليين ، والولاعة ، والجهاز ، والعنكبوت الأحمر ، وكل شىء ..

أنتظرهما وأنا أتذكّر (ديالا) و(كريم) ..

رباه .. أشتاق إليهما !

يمر الوقتُ بطيئًا جدًا ، قبل أن تظهر أخيرًا تلك الهليوكوبتر فى الجوّ ، بهديرها المرتفع ، وجسمها المهيب ..

أقبلت وهبطت أرضًا مثيرة عاصفة من الغبار فى المنطقة ، وسعادة لا توصف فى قلبى ..

هبط منها (ديمترى) و(منذر) بسرعة ؛ وأقبلا نحوى .. لم يكن معهما (همام) هذه المرة ..

ــ يبدو أنه العيد القومى للمروحيات !

أقولها ممازحًا ، ويعانقنى كل منهما على حدة ، أنتبه هُنا أن هُناك بعض الجنود فى الطائرة ، وقد نزلوا معهما .. ومن بعيد ، ارتفعت أصوات سيارات الشرطة ، لا بد أنها قادمة إلى هُنا ..

Loolbo www.dvd4arab.com

يضربنى (ديمترى) على كتفى ويقول :

ــ ماذا حدث ؟!

وبشكل سريع حاولت أن أجعل كلامى مختصرًا قدر الإمكان ؛ وأخبرتهم عن كل ما حدث ، دون الخوض فى تفاصيل كثيرة ليس لها أى داع ..

ــ وماذا الآن ؟!

قالها (منذر) موجهًا الكلام لى ، فقال (ديمترى) :

ــ نعم ، ماذا الآن ؟!

قلت :

ــ سترى الجهاز الذى بالداخل ، لعلك تستطيع اكتشاف شىء به أو عنه .. شىء لم يخبرنى إياه (المتحول) ..

ــ حسنًا ..

واتجهنا بعد كلمته من فورنا إلى الحفرة ، بعد أن أشرنا للجنود أن يبقوا على مقربة ..

ولكن ، ما إن نزلنا الحفرة حتى بوغتنا بذلك المشهد ..

كان (المتحول) يقف وقد احترق وجهه وجسده ، وتحول لونه إلى اللون الأحمر ، وظهرت التقرحات فى عينيه وعلى فمه ، وبدا مظهره مخيفًا للغاية ..

كان يقف هُناك وقد بدا عليه أنه ينتظرنا ..

.. ينتظرنا ليهاجمنا بالطبع !

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

10 ـ الصحوة الأخيرة ..

كانت هذه هى صحوته الأخيرة ..

المشكلة التى لم يحسب حسابها هى (منذر) !

كان (منذر) متأهبًا ، لا أدرى لماذا ، ولكنه وفور رؤيته للمتحول بهذه الهيئة أخرج مسدسه بسرعة ، وأطلق النار ..

أطلق النار قبل أن نفكر أنا و(ديمترى) بالأمر ، وقبل أن يفكّر ذلك (المتحول) بأى خطوة !

بوم .. بوم .. بوم ..

رصاصة خلف رصاصة ، اخترقت رأسه ، وجسده ، وألقت به إلى الخَلف مترين كاملين ، وملامحه تحمل علامات الدهشة والذهول الشديدين ..

حدث الأمر بسرعة ..

ــ الوغد !

قالها (منذر) وهو يصرّ على أسنانه ، ويعيد مسدسه إلى

مكانه بكل ثقة ..

وضعت يدى على كتفه ، بينما اكتفى (ديمترى) بالابتسام ..

نتعامل فيما بيننا مع هذه الأمور كأمور شبه عادية ، ومن الممكن أن تحصل كل يوم !

نخدع أنفسنا ، أعرف هـذا ؛ لكن الخداع هو الحـل الوحيد أمامنا كى لا نصاب بالجنون ..

أقترب من الجثة ، أزيحها جانبًا بقدمى وأنا أكاد أتقيأ .. منذ زمن لم أر شيئًا أمامى هكذا ..

يقترب (ديمترى) بكل فضول ورغبة بالاكتشاف ، ينهمك بفحص الآليين المحترقين وهو يتثاءب ، مكلمًا نفسه !

نحـاول فحص الجهـاز أنا و(منـذر) دون أن نضغط على أى شىء .. لا نعرف ما الذى يمكن أن يحصل !

ينادى (ديمترى) على رجال الأمن الواقفين بالخارج .. يطل عليه أحدهم .. يخبره أن يأتى هو وآخرون ، ينادى عدة زملاء له ويهبطون جميعًا إلينا ، يتعاونون على حمل الآليين ..

www.dvd4arab.com

يقول لى (ديمترى) :

ــ ما هذا الغاز الذى ابتكرته بالضبط ؟! لقد أحرقهم تمامًا من الخارج يا (سامر) !

أقول ملوّحاً بيدى فى تواضع :

ــ هذا لا شىء ..

يبتسم ويقترب من الجهاز :

ــ هل هذا هو ؟!

قلت :

ــ نعم ..

يتأمل الجهاز ، ونشاطره أنا و(منذر) تأمله ..

ــ ترى بماذا هو موصول ؟!

أجبته :

ــ لا أعرف ..

يتساءل (منذر) :

ــ الغريب أن الجهاز لم يحترق !

صحيح .. لم يحترق الجهاز .. أتنهد وأقول :

ــ لا مشكلة فى الأمر ، لم يعد يثير استغرابى شىء !

ينشغل (ديمترى) بالفحص ، ويُخرج عدة أسلاك من جيبه ، وأدوات تشبه الأدوات الطبية ، وأشياء أخرى لا أعرفها ..

أسأله ــ وقد رأيته يضع الأسلاك التى معه حول بعض الأزرار :

ــ ماذا ستفعل ؟!

يقول لى وهو يضغط شيئًا خلف أذنه :

ــ سأحاول أن أعرف كل شىء عن هذه الآلة ؛ دون أن نضغط زرًّا واحدًا فيها !

أقول مؤكدًا :

ــ نعم ، لا ندرى ما الذى قد يحصل ..

يقول لى مشيرًا إلى أذنه :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ أنت تعلم طبعًا أن هناك شريحة موصولة برأسى ، وهى تتصل مع دماغ (فابيو) عن طريق بلوتوث حديث قمت بتطويره منذ أشهر .. وحتى دماغه موصول بطراز خاص ــ قمت بتعديله بنفسى ــ من موقع البحث الشهير (جوجل) ! أنت تعرف هذا ؛ صحيح ؟!

أقول وأنا أهزّ رأسى :

ــ نعم ، أعرفه .. لقد أخبرتنى إياه من قبل ..

يشرح لى :

ــ سيقوم (فابيو) الآن بأخذ كل المعلومات التى أعرفها عن هذا الجهاز ، وتحليلها ، ومقارنتها مع كل الأجهزة المعروفة وحتى السرية ، سواءً من حيث الشكل أو المضمون ..

وسكت قليلاً ثم قال :

ــ أين وضع الكأس الذى فيها دمك ؟!

أشرت إلى تجويف صغير :

ــ هُنا ..

أنظر إليه وهو يتألم أثناء حواره العقلى البعيد مع (فابيو) .. لقد أخبرنى من قبل كم يتألم عندما يحادثه بهذه الطريقة .. أعتقد أن أى شخص منا سيكون متألمًا وهناك شريحة فى رأسه ؛ تسمح له بالحديث مع جثة !

انهمك بالتوصيل والفحص وعدت أنا إلى (منذر) ، وبدأنا نتجاذب أطراف الحديث عن الأمر بشكل عام ..

كنت أنا فى حيرة شديدة جدًا من أمرى !

الأمر كله يبدو معقدًا ، وغريبًا ، أكثر من اللازم ..

ما أعرفه أنه ليست لى أى علاقة قريبة أو بعيدة بما يجرى ، ولكن هذا (المتحول) يريد دمى ، ويريد أن أقول كلمة بصوتى بالذَّات ، وإلاَّ فلن يعمل الجهاز ..

معنى هذا ــ بكل بساطة ــ أن عمر الجهاز الإلكترونى لا يقل عن ألف سنة ، بما أن الآليين لا تقلّ أعمارهم عن ألف سنة !

معنى هذا أنهم يعرفون صوتى ودمى ، منذ ألف سنة ؟!

Loolog
www.dvd4arab.com

معنى هذا أن من وضع الجهاز هُنا ، يعرفنى حق المعرفة ، ويدرك تمامًا أن لى ثقة وطيدة بمدينة الجماجم الغامضة تلك ..

من مدينة الجماجم تلك ؛ جاء هذا الرجل ، والآليون ، وشعب (ياب 469) !

منها جاء (دوراك) و(مونجاسا) و(إيزين) !

ما هى بالضبط ؟!

هل هى مدينة فى المستقبل ، وستنقلنا هذه الآلة إليها عبر الزمن كما كان يحدث مع (المتحول) ؟!

هل هى مدينة فى كوكب آخر ، عاقل ، يتفوق علينا بالعلم والسلاح والقوة والتكنولوجيا ؟!

هل هى مدينة فى عالم موازٍ ، وهذا الجهاز هو البوابة التى تفصل بين العالمين ؟!

السؤال الكبير هو :

ما علاقتى بكل هذا ؟!

الجواب الكبير هو :

لم أعرف بعد !

فجأة قال (ديمترى) :

ــ (سامر) .. (منذر) ..

التفتنا إليه بوقت واحد :

ــ ماذا ؟!

قال مشيرًا بإصبعه ، وملامح وجهه تشير إلى أن هناك مصيبة أو كارثة ما :

ــ هُناك وجه !

هتفت :

ــ وجه ؟!

قال :

ــ (فابيو) أكد لى أن منظومة الأسلاك التى فى داخل الجهاز تكون وجهًا مألوفًا لنا ..

Looloo
www.dvd4arab.com

قلت باهتمام شديد :

ـ وجه من ؟!

نظر إلى وكأنه يتفحصنى لأول مرة :

ـ وجهك أنت يا (سامر) !

* * *

11 ـ ماذا تفعل هنا يا وجهى ؟!

كدتُ لا أصدقُ ما سمعتُ !

بعد كل ما فكرت فيه ، وما تكلّمت أنا و(منذر) عنه ، وما فاجأنى من أمور غريبة حتى الآن ، تكتمل سلسلة المفاجآت بهذا الخبر القنبلة ..

كلها أخبار كالقنابل ، وأنا قاربت على الانفجار !

ـ وجهك يا (سامر) ؟!

يقولها (منذر) وقد بلغت الدهشة منه مبلغها ، بينما انعقد لسانى ـ أنا ـ فى فمى !

يقول (ديمترى) :

ـ طلبتُ من (فابيو) أن يتأكد ، وقد تأكد جيدًا .. هو وجهك بلا أدنى شك يا (سامر) .. الملامح قريبة من ملامحك بنسبة لا تقل عن 84 % على الأقل !

أجلس أرضًا فى تهالك ، وقد أكلتنى الحيرة ، والتهمنى القلق حتى الشبع .. وأقول :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ لا أعرف ما الذى يحصل .. لا أعرف .. لا أعرف ..

لا شك أن ملامحى كانت مثيرة للشفقة ، إذ ربّت (منذر) على كتفى فى تعاطف ، وقال (ديمترى) محاولاً السيطرة على انفعالاته :

ــ على كل حال ؛ يبدو أنك مرتبط معهم بشكل كبير جدًّا لا يعرفه أى منا ، وبالذات أنت .. ولا بد أنه سيأتى يوم تعرف فيه ما علاقتك بما يحدث ..

أهزّ رأسى إيجابًا دون تفكير ..

يتبادل (منذر) و(ديمترى) نظرة سريعة ، قبل أن يردف (عاشق البوم) ، محاولاً تغيير الموضوع :

ــ .. المهمّ الآن أن تعرفا أن هناك شيئًا جديدًا ..

أقول وأنا أرفع عينين متهالكتين إليه :

ــ ماذا ؟!

يجيب :

ــ يقول (فابيو) أن هُناك شيئًا خلف هذا الجهاز ..

يقول (منذر) :

ــ شىء مثل ماذا ؟!

يقلب يديه ويجيبه ناظرًا إليه :

ــ لم يعرف ! لكنه على وشك أن يعرف ، ويطلب منا جميعًا أن نخرج من الحفرة كى يكتشف الأمر !

أبتسم رغم أنفى وأقول :

ــ أشعر أنه مفيد وهو ميّت أكثر منه وهو حى !

نضحك جميعًا ..

يقول (ديمترى) فى تأهب :

ــ هيا بنا ..

أنهض عن الأرض بمعاونة (منذر) ، نخرج نحن الثلاثة من الحفرة ، ويشير (ديمترى) إلى رجال الأمن القريبين منا بالابتعاد ..

ــ ماذا الآن ؟!

Looloo
www.dvd4arab.com

أقولها وقد ابتعدنا عن الحفرة عدة أمتار كافية ، ناظرًا حولى لأتأكد من أن كل شىء على ما يرام .. يجيبنى (ديمترى) وعيناه تبرقان كمن ينتظر شيئًا :

ـ الآن سيتحرك (فابيو) ..

لم يكد يتمّ عبارته حتى اندفع ذلك الشعاع من الفضاء مباشرة نحو الحفرة !

شعاع أصفر اللون ، غريب ، اندفع كثيفًا نحو الحفرة دون أى صوت .. بوغتنا جميعًا به ؛ أنا و(منذر) ورجال الأمن الذين فاجأهم الأمر ؛ إلاّ (ديمترى) الذى كانت ملامحه تدلّ أنه على علم بهذا الشأن ..

ـ ما هذا يا (ديمترى) ؟!

يسأله (منذر) ويجيبه :

ـ إنها أشعة خاصة من تطويرى ، يقوم (فابيو) بإطلاقها من قمر صناعى تابع للإدارة .. تقوم على تفتيت أجزاء معينة من الصخر وترك أشياء أخرى فى نفس البقعة !

باختصار ؛ هى تقوم بالتدمير الانتقائى ـ إن فهمت ما أعنيه !

أحاول أن أستوعب ..

لو كانت الأشعة كما فهمت من عبارة (التدمير الانتقائى) ؛ فأنا مستعد لأن أعترف أمام العالم كله : (ديمترى) عبقرى أكثر مما كنت أتصوره !

اختفت الأشعة فجأة كما ظهرت ، وهدأ كل شىء ..

يندفع (ديمترى) نحو الحفرة بحماس ، قائلاً :

ـ ما الذى تنتظرانه ؟! تعالا خلفى ..

نهبط خلفه إلى الأسفل ، ونحن كلنا شوق لنرى هذا الشىء الذى خلف الجهاز ..

وتوقفنا دفعة واحدة ..

.. كان هناك جزء من نفق !

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

توقفنا وكلنا ذهول ..

أخذنا ننظر فى عيون بعضنا بتساؤل واستغراب ، وقد ألجمت الدهشة ألسنتنا وأفئدتنا ..

كان الوضع مختلفًا فى الأسفل ، الحفرة لم تكن كما هى ، والتراب صبغ كله باللون الأسود .. أما الجهاز فكان كما هو ، وإن كان ظهر جزء من نفق خلفه ..

نفق أسود ، مخيف ، طويل ، ممتدّ إلى الداخل ، ولا نرى نهايته بسبب الظلام طبعًا ..

يقول (ديمترى) :

ــ أين تظنون هذا النفق يذهب ؟!

أقول بتوجس :

ــ لا أدرى ، ولا أحب أن أدرى !

يقول (منذر) :

ــ ربما إلى مدينة الجماجم !

ألتفت إليه وأنا أقول بتوتر وقلق :

ــ لا .. لا تقل هذا ..

يقول (ديمترى) قبل أن يعلّق (منذر) بأى شىء :

ــ لا أظن ، بل على العكس أرى هذا مستحيلاً .. سيكون من الغباء الشديد جدًّا أن يتكبّد كل هذا الجهد مع الآليين الذين معه ، كى يكون الباب الذى يبحث عنه هُنا أمام عينيه !

ــ ربما هى بوابة أخرى ..

قلتُ هذه العبارة فى شك ، ونظر (ديمترى) و(منذر) إلى بعضهما ..

قد أكون محقًّا !

ساد الصمت قليلاً ، قبل أن يقول (ديمترى) وهو يندفع خارج الحفرة :

ــ سأذهب لإحضار بعض الأشياء من المروحية ..

ــ وأنا أيضًا ..

Looloo
www.dvd4arab.com

قالها (منــذر) واندفع خلفــه ، وبقيت أنا فى مكانى واقفًا بلا مبالاة ؛ لا يشغل ذهنى شىء إلا كل شىء !

صورة وجهى مكوّنة من منظومة الأسلاك داخل الجهاز ..

وهُناك نفق خلفه ..

وهو لا يعمل إلا بصوتى ..

ودمائى ..

أسئلة وأسئلة !

دماغى يفور مثل بركانٍ غاضبٍ نشط ، ويكاد ينفجر فى كل الاتجاهات ..

و ...

قطع على أفكارى عودتهما ، وقــد حمل كــل منهما حقيبة عسكرية على ظهره ..

ــ هل أنت جاهز ؟!

أجيب السؤال بسؤال :

ــ من أجل ماذا بالضبط ؟!

يضحك (ديمترى) :

ــ من أجل استكشاف النفق طبعًا !

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

12 ـ النفـق ..

أنظر إليهما فى تساؤل ، وأقول :

ــ ماذا ؟!

يقول (ديمترى) بكل حماس :

ــ سنستكشف النفق ..

أتساءل :

ــ وحدنا ؟!

يجيب (منذر) وقد انتقل إليه حماس (ديمترى) :

ــ نعم ، وحدنا ..

أهزّ كتفى بما معناه أننى موافق ، ويسألنى (منذر) :

ــ لا تريد شيئًا معك ؟!

أقول بثقـة :

ــ يكفينى ما أحضرتماه معكما .. أعتقد أننى أثق بكما من هذه الناحية تمامًا ..

يبتسم ، ويُخرج من الحقيبة مصباحًا يدويًا ويناولنى إياه ، ويُخرج واحدًا آخر ويمسكه بيده اليسرى ، وأخرج (ديمترى) كذلك واحدًا من حقيبته ..

بعدها أخرج مسدسًا من الحقيبة وناولنى إياه :

ــ خذ ، لا ندرى ما قد نواجه فى الداخل !

آخذه دون أى كلمة ، بينما هو أعطى (ديمترى) مسدسًا آخر ، قبل أن يرفع حقيبته ويحملها على كتفيه ، ويمسك مسدسه بيده اليمنى فى حذر ..

ــ هل أنتم جاهزون ؟!

يقولها (ديمترى) بلهجة قيادية حازمة ، فهززنا رؤوسنا ، أنا و(منذر) بالإيجاب ..

اقتربنا من الحفرة .. ودخلنا ..

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

ظلام ..

لا شىء سوى الظلام ..

من الجيد أننا أحضرنا معنا المصابيح اليدوية ، وإلاّ ما رأينا شيئًا على الإطلاق ..

هُناك رائحة غريبة لم أستطع تمييزها ، ولم أستطع مقارنتها بأى شىء أعرفه ..

نمشى بحذر ، وقد أمسك كل منا مسدسه فى يد ، والمصباح فى يد .. آثار أشعة المصابيح تنعكس على وجوهنا وعلى جدران النفق من الداخل ، وتُعطى بُعدًا آخر للخوف هنا ..

خوف ؟!

لا .. ليس خوفًا ولا ذعـرًا ولا رعبًا ، الشـعور أقرب إلى الرهبـة والتوتر .. التوتر الطبيعى الغريزى الفطرى ، الشبيه بالحذر من المجهول .. هو هذا ولا شك ..

نتوغّل فى الداخل أكثر ، الغريب أن النفق كان مصقولاً من الداخل .. نعم هو مبنى من الصخور ، ولكن لم يكن هناك أى تراب ، أو أوساخ ، أو قاذورات ..

كان يبدو كنفق أنشأته إحدى وحدات أمانة العاصمة ، شىء شبيه بأنفاق المشاة ، أو أنفاق القطارات السفلية ، لكن لم يكُن هناك أى مشاة غيرنا ، ولا قطارات ، ولا أضواء إلا ما يخرج من مصابيحنا اليدوية فحسب ..

نمشى ونمشى ، لا شك أننا قطعنا مائتى متر حتى الآن ، قبل أن يقول (منذر) :

ــ هل نحن ننحدر إلى الأسفل ؟!

يجيبه (ديمترى) ببساطة :

ــ نعم ، لكنه انحدار خفيف ..

أقول لافتًا نظرهم :

ــ انظروا إلى السقف والجدران ، إنها نظيفة ومصقولة ..

يقول (منذر) وهو يوجه نور مصباحه إلى الجدران :

ــ فعلاً ، تبدو وكأنها أنجزت منذ أيام قليلة ..

يقول (ديمترى) :

Looloo www.dvd4arab.com

ــ لا شك أن من أنجزوه وصلوا إلى مرحلة متقدمة جدًّا فى العلم والتكنولوجيا ..

نمشى أكثر وأكثر ، لا شىء إلا صـوت خطواتنا وتنفسنا ، وأضواء المصابيح ..

ــ ماذا تتوقعان أن نجد ؟!

قالها (منذر) ، فقلت بعد صمت وأنا أمشى فى حذر :

ــ لا أعرف ..

يقول (ديمترى) :

ــ ربما بوابة كما قال (سامر) ..

نمشى أكثر ، قبل أن نتوقف فجأة ، فلون الجدران بدا مختلفًا ابتداءً من هذه النقطة ..

أوجه مصباحى نحو الجدران ، وينتبه (ديمترى) و(منذر) معى .. الجدران صار لونها أسود !

ــ هل يشير هذا لشىء ؟!

قالها (ديمترى) فقال (منذر) :

ــ ربما وصلنا ..

عقبت :

ــ أو ربما قاربنا على الوصول ..

ــ الوصول إلى أين ؟! هذا هو السؤال !

قالها (ديمترى) بلهجـة غامضة ممزوجـة بنكهة كوميدية لطيفة ، فقلت :

ــ الوصول إلى ماذا ؛ تقصِد يا (ديمترى) !

أشعر أننا فى مسلسل سخيف .. أسلوب حوارنا يضحكنى ..

أبتسم فى سرى ، وأواصل المشى .. و ...

بغتة قال (ديمترى) بصرامة وحزم :

ــ توقفوا !

توقفنا ، والتفت إليه قائلاً :

ــ ماذا هُناك ؟!

Looloo
www.dvd4arab.com

قال محذرًا :

ــ إياك أن تخطو خطوة واحدة ..

ابتلعت ريقى وقلت :

ــ لماذا ؟!

ــ أمامك حاجز من أشعة الليزر !

يرتفع حاجباى فى دهشة :

ــ ليزر ، هُنا ؟!

ــ ششششش ! أخبرنى (فابيو) بهذا ، وها هو يعالج المسألة ..

يتساءل (منذر) :

ــ (فابيو) ؟! هل ما يزال معنا ؟!

يقول (ديمترى) بنفاد صبر :

ــ وهل هو فارقنا من الأساس ؟!

أفكّر قليلاً بكلمته دون أن أتحرك .. حاجز من أشعة الليزر ؟! هُنا ؟!

رباه ! ما التطور الذى وصله هؤلاء القوم بالضبط ؟!

يمر الوقــت ببطء ، قبــل أن يتنهّد (ديمترى) فى ارتياح ، قائلاً :

ــ تستطيع أن تمشى الآن .. انتهت المشكلة ..

أبتسم :

ــ بكل سهولة ؟!

ــ بكل سهولة ..

أضحك ، من الجيد أن معى (ديمترى) و(منذر) .. لن أستثنى (فابيو) طبعًا فهو من أهمّ أعضاء هذا الفريق ، لو كان لى أن أطلق علينا هذا اللّقب !

نمشى ونمشى ، وأسأل (ديمترى) بعد وهلة :

ــ ما الذى فعله (فابيو) ؟!

ــ لا تفكر بهذا الآن ، سأخبرك لاحقًا ، المهم أنها مشكلة وانتهت ..

Looloo
www.dvd4arab.com

وسكت ، ثم أردف :

ــ .. يجب أن نركّز بهذه المشكلة الآن !

قالها مشيرًا إلى الجدار الأسود الذى وصلنا إليه أخيرًا ..

جدار أسـود يغلق نهـاية النفق المظلم المخيف المصقول هذا معلنًا أن هذه هى المحطة الأخيرة !!

جدار أسود ضخم ليس عليه أى شىء ، أو نقش ، أو زرّ ، أو جهاز ، أو كتابة !

جدار أسود صامت .. كئيب !

نقترب منه .. يتحسَسه (ديمترى) بأصابعه ويقول :

ــ (سامر) .. هُناك جهاز خلف هذا الجدار !

أسأله وأنا أعرف الجواب :

ــ كيف عرفت ؟!

يقـول :

ــ (فابيو) طبعًا ! لقد أخبرنى للتوّ أن هناك جهازًا خلف هذا الجدار ، وهذا الجهاز يماثل ذلك الجهاز الذى دمرته الأشعة فى الخارج .. فماذا ستفعل ؟!

يغمغم (منذر) وهو يدير مصباحه يمينًا ويسارًا :

ــ نعم ، لقد وصلنا إلى هذه النقطة التى ليس بعدها شىء .. ويبدو أن هذا الجهاز هو الفرصة الأخيرة لنا ..

يقول (ديمترى) موافقًا :

ــ ماذا ستفعل الآن يا (سامر) ؟

أنظر إليهما وقد عقدت حاجبى فى تساؤل .. تُرى ؛ ماذا ينتظران منى أن أفعل ؟

قُلت :

ــ ماذا تنتظران أن أفعل ؟!

ينظران إلى بعضهما ، ويقول (منذر) :

ــ أن تقول « مدينة الجماجم » بصوتك !

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

13 ـ الجدار الأسـود ..

ـ ماذا ؟!

تبرق عينا (ديمترى) :

ـ قُل الكلمتين « مدينة الجماجم » .. قُلهما لنرى ما الذى سيحدث ، وعلى أى شىء ستفتح البوابة ..

أتراجع إلى الخلف فى توتّر ..

ـ كلاّ !

أقولها ، فيعقد (ديمترى) حاجبيه :

ـ ماذا ؟!

أقول بحزم ، بعد أن فكّرت بالأمر جيدًا فى رأسى ، وبسرعة ، وقد راجعتُ فى ذهنى كل شىء :

ـ لن أقولها ..

يهتف :

ـ لماذا ؟!

أقول بقلق :

ـ لأننا لا نعرف ما الذى سيجرى .. ربما إذا قلت الكلمة سينفتح باب إلى عالم آخر أو إلى مجرة بعيدة .. لا نعرف .. ربما يخرج لنا آليون جدد ، أو كائنات لم نرها من قبل .. وأعتقد بجدية أننا لم نر شيئًا بعد ..

لم أكن أدرك كم كنتُ صادقًا وقتها !

يلتزم (منذر) الصّمت ، ويقول (ديمترى) مدافعًا عن رأيه باستماتة :

ـ مهما كان رأيك ومهما كانت مخاوفك ، عليك أن تتغلب عليها يا (سـامر) .. هـل تعلم ما الـذى يمكن أن نجده ؟! ربما نحقق أكبـر كشـف علمى حتى الآن .. ربما نـرى أنفسنا فى عالم آخـر ، وبه كـل ما كنـا لم نتخيـله .. ربما نشهد ولادة حضـارة جديدة ، أو امتـزاج كوننا بكـون بديل .. الأمر فى غاية الأهميّة يا (سامر) ، ولا يجب عليك أن تضيع هذه الفرصة ..

Looloo
www.dvd4arab.com

أقول بحنق :

ـ عن أى فرصة تتحدث يا (ديمترى) ؟! لقد حدث هُناك قتل بسببى .. بسببى أنا يا (ديمترى) .. عدة أرواح أزهقت ، كما حصلت أشياء غريبة ، الكثير منها فى الواقع ، ومن الجيد أنكما كنتما معى فيها جميعًا ..

وأخذتُ نفسًا عميقًا وأنا أقول ببطء ـ محركًا رأسى يمينًا وشمالاً بكل ثقة :

ـ كلا ، لن أقولها !

يقترب منى (ديمترى) ويقول باستجداء :

ـ (سـامر) .. لو أننى أستطيع إجبـارك لفعلت ، لكننا فريق ، ومن واجبـات أفـراد الفريق أن يراعـوا حق بعضهم على بعض ..

أكاد أصرخ فى غضب :

ـ لكن هذا ليس حقًا شخصيًا لك يا (ديمترى) .. هذا شىء يخصنى أنا ، وأنت تعرف كم أنا مرتبط بهذا الموضوع .. هذا

شىء يخص هذا الكوكب كله أيضًا ، ولو أننى أعرف ما الذى سيحدث لقلت الكلمتين فورًا وبلا تردّد ..

يهمّ (ديمترى) بأن يرد ، لولا (منذر) الذى اقترب فجأة وقال بصرامة :

ـ يكفى يا (ديمترى) ..

التفتنا إليه ، فأردف :

ـ .. يكفى لأننا نعرف جيدًا أن (سامر) لن يغيّر رأيه ، وأن الأمر أشبه برحلة إلى المجهول ..

أقول موجهًا كلامى إلى (ديمترى) :

ـ أترى ؟!

ينظر بحنق ، ويكمل (منذر) :

ـ .. هُناك غموض كبير مثير لكل أنواع الرعب والشك والفزع والذعر ، ونحن نتصرف فيما بيننا وكأن شيئًا لم يكن .. يكفى خداعًا لأنفسنا فالأمر خطير جدًا .. نحن فى قلب عاصفة هائلة من الأحداث الغريبة منذ بدأ هذا الأمر وغيره بالحدوث ، والأشياء كلها مرتبطة بهذا الرجل ..

Looloo
www.dvd4arab.com

وأشار إلىَّ بأصبعه ، مستطردًا :

ــ .. لا أدرى لماذا أرى الأمر متعلقًا بك وحدك ، أو أن هذا ما أعرفه وأراه وأتوقــع اســتمراره حتى الآن .. رأيى الخاص ألاّ تقول أى كلمة ، وأن نغادر المكان فورًا !

يعجبنى أننى أخيرًا أرى بعض التعقل عند (منذر) ، الذى التفت إليه (ديمترى) ضاحكًا ، وقائلاً فى استخفاف :

ــ تخيل !

أقول :

ــ (ديمترى) يا صديقى ، ويا أستاذى ؛ كُن واثقًا أننى لن أقول الكلمتين .. هُناك احتمال بأن تنفتح علينا أجمل أبواب الحياة منذ هذه اللحظة ؛ لكننى لا أنكر أن هناك احتمالاً أكبر ، وهو أن تنفتح أبواب الجحيم كلها !

يطأطئ برأسه ، ويقول (منذر) :

ــ ماذا الآن ؟!

أفكّر قليلاً ..

لم يعد وجودنا هنا ضروريًا ، لقد عرفنا كل شىء كان يجب أن نعرفه ، وعرفنا الخطوة القادمة التى لن أقوم بها ..

نعم .. لن أقول الكلمتين ..

أقول :

ــ أتصل بالإدارة ، وبالجيش ، وأخبرهم أن يغلقوا هذا النفق بالخرسانة ، وبالحديد المصهور ، وبكل شىء يستطيعون إغلاقه فيه للأبد !

يقفز (ديمترى) قائلاً فى هلع :

ــ مستحى ..

يقاطعه (منذر) بصرامة :

ــ (ديمترى) !

ينظر إليه بدهشة ، فيقول :

ــ انتهى النقاش ، واعذرنى ؛ سنغلق النفق ..

يقولها ولا ينتظر جوابًا أو تعليقًا من (ديمترى) ، أنظر إليه أنا بإعجاب وهو يتصل مع الإدارة ..

Looloo
www.dvd4arab.com

أقول :

ـ (ديمترى) ، عليك أن تصدّقنى ، هذا أفضل ما يجب علينا فعله ، لكننى واثق أننا سنعرف حقيقة الأمر ذات يوم ..

ـ لا بأس .. لا بأس ..

يقولها بغيظ مكتوم ..

أتنفس الصعداء ، وأنظر إلى الجدار ، وإلى كل شىء من حولى بسرعة .. من الجيد أننا سنغادر هذا النفق لأننى تعبت من الكلام والتوتر ، والنقاش ، والقلق ..

ـ هيا بنا ..

يقولها (منذر) مفسحًا لنا الطريق ، أبتسم ، وأربّت على كتف (ديمترى) مواسيًا .. لا شك أننى أحببت فضوله العلمى ونهمه المعرفى حتّى الحدّ الأقصى ..

نتأكد من أن كل أدواتنا معنا ، نلقى نظرة أخيرة على المكان والجذران ، نسمع صوت قوات الجيش التى بدأت بالدخول إلى قلب النفق ..

* * *

11 ـ الختـــام ..

فى البيت ..

أنــا و(منــذر) و(ديمتــرى) نجلس على المقــاعد فى غرفــة الضــيوف ، وقــد أمسك كل منا بكأس الشاى الساخن فى يده ..

يقول (ديمترى) :

ـ لا شك أن هناك لغزًا كبيرًا يحيط بك يا رجل !

أقول فى ضيق :

ـ أرجوك لا تقل شيئًا ، دعنا فرحين بأننا انتهينا من الأمر وكفى ، وأنه لن يعود ..

يقول (منذر) :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ ما أدراك ؟

ــ لا شىء ، لكننى أدعو الله أن يحصل هذا ..

أقولها وأحتسى شيئًا من الشاى ..

تنادى علَىّ (ديالا) من الخارج ، أستأذنهما وأذهب إليها ، أكلمها قليلاً ثم أعود حاملاً معى الحلوى ..

أقدمها لهم ، وأجلس ، ونعود لنحتسى الشاى ..

يسود صمت ، أقطعه بقولى :

ــ ألم يقولوا قديمًا : « إن لم تكن ذئبًا ، أكلتك الذئاب » ؟!

يقول (ديمترى) :

ــ نعم ..

أقول وأنا أبتسم بسخرية :

ــ بعد ما حدث اليوم ؛ لا شك أن العبـارة قـد تحولت إلى « إن لم تكن ذئبًا ، أكلك المتحول » !

قلتها وضحكت بقوة ..

ضحكنا كلنا بصوتٍ عالٍ ..

.. ضحكنا ؛ حتى كدنا نقع من على مقاعدنا !

* * *

تمت بحمـــد الله

Looloo
www.dvd4arab.com

تاكسى

2

مغامرات مجنونة
لسائق تاكسى غريب الأطوار

حسن الحلبى

حديقة الجثث

هل الفضول قتل القط ؟

هل المقابر مكان يزوره المرء لزيارة الأحبة الراحلين أم لأهداف أخرى ؟

ما علاقة الذئاب بالأمر ؟

وكيف يمكن لشىء فعلته أنت بمحض إرادتك أن يكون خطة محكمة من قبل أشخاص آخرين ؟

ولماذا هناك رجال آليون ؟

وأين (ديمترى) عن (ديمترى) ؟

أسئلة كثيرة .. لكن هل ثمة أجوبة ؟

الثمن فى مصر 500
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة والاسكندرية

مطابع